



شريف شوقي

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

هذه السلسلة ..

عندما تتحول حياة الفرد منا إلى صحراء جرداء ..

وعندما تجف مشاعرنا وتستحيل إلى أغصان يابسة ..

يتوق قلب كل منا إلى الحبّ .. الحبّ الذى يروى هذه المشاعر . فيعيد إلى أوراقها الخضرة .. ويبدل صحراءها إلى بساتين مزهرة ، ورياض غناء .

إنه الحب .. الحب بمعناه الرحب : حب الحبيب .. حب الابن .. حب الأب .. حب الأم .. حب الوطن .. حب البشر ..

هذه الكلمة السحرية التى تذيب أحجار القلوب .. وتنبت الزهور اليانعة فى صخور المشاعر الصلدة ..

إنها الزهور التى ينشدها كل منا فى لحظات اليأس .. وفى لحظات الغضب .. وفى لحظات الكراهية .. وفى لحظات الجفاف .. فتشيع عبيرها الفوّاح في ثناياتا ، وتعيد الخضرة إلى قلوبنا ، والربيع إلى كهولتنا ، والأمل إلى حنايانا .

إن الحب بمعناه الكبير .. ومعناه السامى ، وبابتعاده عن الأنانية والرغبات والشهوات ، لهو أعظم شىء خلقه الله فى هذا الوجود !!

وفى هذا الزمن الذى طغت فيه الأطماع المادية والأنانية الفردية ، نحن نحتاج الآن لمن يسمو بمشاعرنا .. نحتاج لهذا النوع من الحب .. نحتاج لزهور نستنشق عبيرها ، فتحرك مشاعرنا ، وترقق عواطفنا ..

وفى كل قصة من قصص هذه السلسلة ، دعنا نتنقل من زهرة إلى زهرة .. فى بستان ملؤه جمال المشاعر .. ورقة الأحاسيس .. وزهور الحب .

المؤلف

١ - صديقتى دائمًا ..

تردد رنين الجرس بين جنبات المدرسة ، فبدأت التلميذات الصغيرات يتحركن فى مقاعدهن استعدادًا للانصراف .

ولاحظت معلمتهن الشابة ما هنّ عليه من تأهب وتململ فى انتظار السماح لهن بمغادرة الفصل .

فابتسمت قائلة :

- حسن .. تستطعن أن تنصرفن .

وعلى الفور تدافعت التلميذات الصغيرات وهن فى حالة من الهرج والمرج ، وقد حملن حقائبهن وتزاحمن على باب الفصل .

فحاولت تهدئة اندفاعهن على هذا النحو خشية عليهن قائلة :

- بهدوء ونظام يا بنات !

وظلت ترقبهن خلال مغادرتهن للفصل ، وفى عينيها هذه الابتسامة المشرقة التى تبرز ملامح جمالها الملائكى حتى انصرفن جميعًا .

وما لبثت أن بدأت فى ترتيب أوراقها وعدد من كراريس التلميذات داخل حقيبتها .. ثم ضمتها إلى صدرها وهى تتأهب لمغادرة الفصل بدورها .

لكن ما كادت تضع قدميها خارج الفصل حتى ارتدت خطوتين إلى الوراء ، وقد فزعت لرؤيتها المفاجئة لصديقتها وهى تبرز لها من وراء الباب فى حركة مباغتة .

ضحكت صديقتها وقد نجحت فى إثارة مخاوفها على هذا النحو قائلة :

ـ بهدوء .. ونظام يا أستاذة (ندى) .

قالت لها (ندى) غاضبة :

ـ (نورا) .. لقد أخفتنى .. إنك لن تتغيرى أبدًا .. ستظلين تتصرفين كطفلة شقية كما كنت دائمًا .

ابتسمت (نورا) قائلة :

ـ وهل هناك ما هو أجمل من الشقاوة ؟! لكن قولى لى .. لقد نجحت فى إخافتك .. أليس كذلك ؟

رمقتها (ندى) بنظرة معاتبة .. ثم ما لبثت أن شاركتها الضحك ، واندفعت (نورا) نحوها لتحتضن ذراعها بكلا ساعديها قائلة :

ـ هيا بنا .. قبل أن تلحظنا مديرة المدرسة وتلقى علينا إحدى مواعظها .

قالت لها وهى مازالت متشبثة بذراعها فى أثناء سيرهما معًا :

ـ ستأتين إلى منزلنا اليوم .. فأنت مدعوة على الغداء معى .

ـ لا أستطيع .. فأنا لم أخبر عمى بذلك .

ـ لا مشكلة فى ذلك .. تستطيعين أن تخبريه .. ثم تأتين لنتغدى معًا .. أم تريدين أن آتى معك بنفسى لآخذ لك الإذن ؟

ـ كلا .. لو جئت معك ستعطلينى .. وتستبقيننى معك كما هى عادتك دائمًا .. وأنا اليوم بحاجة لوقت أنتهى فيه من تصحيح كراسات البنات .

قالت لها (نورا) باستهتار :

ـ دعك من تلك الكراسات اليوم .. إن لدى كراسات لم أنته من تصحيحها منذ أسبوع .. مازلنا فى بداية السنة الدراسية والأمر لا يحتاج منك إلى كل هذه الجدية .

ـ هذا لأنك فتاة مستهترة .. أما أنا فأحب أن أؤدى عملى على الوجه الأكمل وفى موعده المحدد .

ـ لا تكونى ثقيلة الظل .. ودعينا نقض وقتًا لطيفًا معًا اليوم .

ـ إن هـذا الوقـت اللطيف يأتى على حسابى دائمًا .. فأنـا أضطـر للسـهر حتـى أنتهـى مـن تصحيـح تلـك الكراسات .. ثم إننا طوال الأسبوع معًا .. فى المدرسة .. وفى طريق الذهاب والإياب منها وإليها .

كما أننا دائمًا نلتقى إما فى منزلك أو منزلى .. ألا ترين أن هذا شىء يبعث على الملل .

قالت لها (نورا) معاتبة :

ـ أتريدين أن تقولى إنك قد مللتنى ؟

أجابتها (ندى) وهى تتعمد إغاظتها قائلة :

ـ بالطبع .. إنك صديقتى منذ أن كنا فى السادسة من العمر .. وكـل منـا قـد تجـاوزت الآن الثالثـة والعشرين ببضعـة أشـهر .. ألا ترين أن سبعة عشر عامًا فـترة طويلة للغاية تكفى لكى أملّ صحبتك ..

وأبعدت (نورا) ساعديها عن ذراع صديقتها قائلة وهى تتصنع الجدية :

ـ حسن .. مادمت ترين ذلك فسوف نفترق الآن .

ثـم أدارت لهـا ظهرهـا وهـى تتظـاهر بالابتعـاد .. فابتسمت (ندى) قائلة :

ـ ما أصناف الطعام التى تقدمونها اليوم على الغداء ؟

استدارت إليها (نورا) سريعًا وهى تقول :

ـ هل أفهم من هذا أنك ستأتين لقضاء اليوم معى ؟

ـ هذا يتوقف على نوع الطعام الذى أعددتموه ؟

قالت لها (نورا) وهى تحاول إغراءها :

ـ لقد أعدت لك والدتى الملوخية التى تحبينها .

هزت (ندى) رأسها قائلة :

ـ أعتقد أنه لا يجوز لى أن أرفـض دعوتـك فى هذه الحالة .

هللت (نورا) قائلة :

ـ حقًا !؟

ـ نعم .. ولكن ستأتين معى إلى المنزل لتحصلـى لى على الإذن من عمى وزوجة عمى كما وعدت .

ـ اعتمدى علىّ فى ذلك .

لكنها استطردت قائلة :

ـ ولكن .. ألسنا متخاصمتين ؟

نظرت (ندى) فى ساعتها قائلة :

ـ نعم .. أعتقد أن اثنتى عشرة ثانية تعد وقتًا كافيًا لكى ننهى بعده خصامنا .

ورمقتها (نورا) بنظرة لـوم قائلـة ، وفـى صوتها نبرة حنون :

ـ يا لك من قاسية !.. وهل قدرت على مخاصمتى اثنتى عشرة ثانية كاملة ؟

ـ ولكن أنت التى خاصمتنى وأدرت لى ظهرك .. وكنت تنوين الرحيل .

ـ ألم تقولى إنك قد مللت صداقتنا ؟

أمسكت (ندى) بيدها قائلة :

ـ وهل صدقت ذلك ؟

قالت لها (نورا) بدلال :

ـ بالطبع لا .. وهل صدقت أننى كنت سأرحل دون أن أجبرك على مصاحبتى إلى منزلنا ؟

ثم من أين تأتين لك بصديقة رائعة مثلى ؟

وانطلقتا تمرحان معًا وهما فى طريقهما إلى منزل (ندى) الذى كان يفصل بينه وبين منزل (نورا) أربعة شوارع من شوارع السويس .

لقد أتت (ندى) إلى السويس وهى فى السادسة من عمرها .. بعد وفاة والديها ، فقد تيتمت (ندى) وهى فى سن مبكرة .. بعد أن توفيت والدتها التى لم ترها مطلقًا على إثر ولادتها .. ولحق والدها بها بعد ست سنوات على إثر مرض عضال أصابه .

ولم تشعر (ندى) بمرارة اليتم على النحو الذى كان يمكن أن تتعرض له من كانت فى مثل حالتها .

إذ سرعان ما احتضنها عمها وزوجته ، وعاشت معهما كما لو كانت ابنتهما تمامًا .

لقد أتت من القاهرة إلى السويس لتعيش فى هذا المنزل ، وهى لا تعى حقيقة المأساة التى تعيشها طفلة صغيرة بمفردها بعد أن فقدت الأب والأم .

وظلت لا تعى هذه الحقيقة بعد أن شملها عمها وزوجته ـ بل وابنهما الوحيد الذى كان يكبرها بست سنوات ـ بحبهم ورعايتهم ..

حتى إنها كانت تنادى زوجة عمها بـ (ماما أمينة) .. لأنها كانت بالفعل بمثابة الأم التى ترعاها .. ولم تقصر نحوها فى شىء .. كما لم تفرق بينها وبين ابنها الوحيد .. الذى كان يرعاها بدوره كما لو كان أخًا لها .

والتحقت (ندى) بإحدى مدارس السويس حيث التقت بـ (نورا) .. ثم سرعان ما تعلقت كل منهما بالأخرى ..

وبرغم كل ما عرفته (ندى) من فتيات ورفيقات

طوال سنى عمرها .. إلا أن (نورا) بقيت هى صديقتها الحقيقية .

لقد نمت مشاعر الصداقة القوية بينهما منذ الطفولة .. وقويت مع مرور السنين حتى أصبحت كل منهما لا تقوى على فراق الأخرى .. ولا تخفى عنها شيئًا من أسرار حياتها .

وظلت (ندى) تردد دائمًا لصديقتها .. أنها لو كانت لها أخت لما أحبتها ووثقت بها كثقتها وحبها لـ (نورا) .

* * *

جلست الصديقتان فى الشرفة بعد أن انتهتا من تناول طعامهما ، حيث سألتها (نورا) قائلة :

ـ لماذا تبدين شاردة هكذا ؟

أجابتها (ندى) قائلة :

ـ لقد وصلنى خطاب من (سعيد) بالأمس .

ـ ابن عمك .. وما أخباره ؟

ـ سيعود من السعودية بعد أسبوعين .

ـ هل سيقضى إجازة طويلة معنا فى السويس هذه المرة ؟

قالت لها (ندى) واجمة :

ـ بل سيعود ليستقر فى السويس .. فقد انتهى تعاقده فى العمل هناك .

ـ حسن .. هذه أخبار حسنة .. أخيرًا سيستقر (سعيد) فى بلده بعد غياب ثلاث سنوات .. فلماذا تبدين تعيسة هكذا ؟

اصطنعت (ندى) ابتسامة على وجهها قائلة :

ـ وهل أبدو تعيسة حقًا ؟

ـ لقد خيل لى أن هذا هو ما يبدو على وجهك .

تنهدت (ندى) قائلة :

ـ إننى حائرة فقط .

رمقتها صديقتها بنظرة فاحصة قائلة :

ـ هل تقلقك عودة (سعيد) ؟

ـ لا أستطيع أن أخفى عليك ذلك .. إننى مسرورة لأنه أخيرًا سيعود لأسرته ووطنه .. وسيستقر بيننا .. ولكن ...

أكملت (نورا) قائلة :

ـ لكنك ما زلت قلقة بشأن أمر زواجكما .. فعودته تعنى إتمام مشروع زواجكما الذى تأجل طويلاً .

صمتت (ندى) فى حين أردفت صديقتها قائلة :

ـ (ندى) .. إنك لا تكرهين (سعيد) .. أليس كذلك ؟

قالت لها (ندى) سريعًا :

ـ أكرهه ؟.. بالطبع لا .. إن (سعيد) هو أقرب وأعز إنسان لدى .. لكنه .. كان دائمًا بالنسبة لى بمثابة ...

قاطعتها صديقتها مرة أخرى قائلة :

ـ إياك أن تقولى بمثابة أخ لى .. لقد اتفقنا على أن تتوقفى عن ترديد ذلك .

قالت لها (ندى) بحيرة :

ـ (نورا) .. افهمينى .. لقد تربيت مع (سعيد) منذ الصغر وكنت أعده دائمًا بمثابة أخى .. لم أفكر فيه مطلقًا على أنه سيصبح زوجًا لى .. إنه قريب إلى نفسى كأخ وصديق وعزيز .. لكننى لم أشعر نحوه بتلك المشاعر ، التى يتعين على أية فتاة أن تشعر بها تجاه الرجل الذى تنوى الزواج به .

ابتسمت (نورا) قائلة :

ـ أما هو فإن مشاعره نحوك قد اختلفت عن مشاعر الأخ .. برغم أنكما تربيتما معًا .. وبرغم معاملتك له

كصديق وأخ عزيز كما تقولين .

ـ وهذا ما يؤلمنى .. كنت أتمنى أن أبادله نفس مشاعره ، حتى أكون له الزوجة التى يتمناها .. بل إننى حاولت .. لكننى فشلت .

ـ (ندى) .. إن سعيد شاب تتمناه أية فتاة .. فهو إنسان ناجح ومهذب ، فضلاً عن أنه ابن عمك ويحبك .. وأعتقد أن حياتك ستكون سعيدة معه .

ـ إننى أعرف كل هذا .. ولكن .. ولكنى لـ ...

ـ لكنك ما زلت مترددة حياله .. تمامًا كما فعلت حينما رفضت إعلان خطبتكما قبل سفره .. وطلبت تأجيل الأمر لحين عودته من السفر .

ـ وها هو ذا يتأهب للعودة ولم يعد هناك سبيل للتراجع .

قالت لها (نورا) بدهشة :

ـ سبيل للتراجع .. إنك تصورين الأمر وكأنه إلزام .
إن هذا القرار فى النهاية يعود إليك أنت .. إذا لم تكونى راغبة فى هذا الزواج .. فليس هناك ما يحتم عليك قبوله .

ـ وهل تظنين ذلك أمرًا سهلاً ؟

ـ وما هى صعوبته ؟

ـ إن أمر زواجى من (سعيد) كان مقررًا منذ سنوات .. فعمى وزوجته كانا يحلمان دائمًا بأن يجمعا شملنا معًا .. فيكف تتصورين أن أخيب آمالهم الآن ؟ وبعد أن أصبح هذا الأمر بالنسبة لهم حتميًا ومفروغًا منه ؟

ـ ليس هناك فى أمور الزواج ما هو حتمى ومفروغ منه .. إنه قرارك .. وحياتك .

ـ ليس الأمر بالبساطة التى تحاولين أن تصوريها بها .. إن عمى وزوجته ربيانى كما لو كنت ابنة لهما .. وأنا أحمل لهما فى عنقى دينًا لا يمكننى تجاهله .. وهما يأملان أن أكون زوجة لابنهما .. فكيف تتصورين أن أخذلهما ؟

ـ تتحدثين وكأنك لا تحملين أى قدر من العاطفة تجاه (سعيد) .. وأن الأمر مفروض عليك .. مع أنى كنت أظنك فى وقت من الأوقات سعيدة للارتباط الذى يجمع بينكما .

ـ لا أستطيع أن أنكر أن هذا كان هو شعورى بالفعل منذ بضع سنوات .. وأنا فى سنوات مراهقتى الأولى ..

فتاة صغيرة .. تفرحها فكرة الزواج نفسها .

كما لا أستطيع أن أدعى بأن هناك ما يجعلنى الآن أرفض أو أجد سببًا للرفض نحو (سعيد) .

لكن كل ما أستطيع أن أقوله هو أننى أشعر بأن عاطفتى محايدة تجاهه .. وأخشى ما أخشاه أننى لا أستطيع أن أمنحه الحب الذى ينتظره منى لو بقى هذا الشعور بداخلى ..

إننى ممن يؤمنون بضرورة وأهمية الحب من أجل تحقيق زواج ناجح .

ـ قد يأتى الحب أحيانًا بعد الزواج .. وربما أحببته .

ـ وربما لا يحدث هذا .. إننى أقدر (سعيد) كثيرًا وأخشى أن أظلمه .

ـ على أية حال يجب أن تحسمى هذا الأمر مع نفسك قبل عودته ، وألا تستمرى فى هذا التردد كثيرًا .

ـ لقد قلت لك إننى لن أخيب آمال عمى وزوجته و(سعيد) بشأن هذا الزواج .. فقط أردت أن أعبر لك عن حقيقة مشاعرى وأحاسيسى .

ـ أعتقد أنه لن تخيب آمالك .. فـ (سعيد) كما قلت لك شاب رائع وهو قادر على أن يجعلك تحبينه ..

خاصة إذا ما تخليت عن نظرتك له كابن عم لك ، وأخ تربيت معه فى منزل واحد .. وأظن أن الزواج قادر على أن يحل هذه المشكلة .

ـ حسن .. والآن دعينا نتحدث فى أمر آخر .. ماذا ستفعلين بشأن رحلة المدرسة إلى الفيوم الأسبوع القادم ؟ ألن تأتى معى ؟

قالت لها (نورا) بتدلل :

ـ سأفكر فى الأمر .

ـ ليس هناك وقت للتفكير .. يجب أن تقيدى اسمك فى الكشف الخاص بالرحلة غدًا .

ـ لكنك أنت مشرفة الرحلة .. وخمسون تلميذة لا يحتجن لأكثر من مشرفة واحدة .

ـ هل تريدين أن تخذلينى ؟ لقد بذلت جهدًا مع المديرة لكى أقنعها بضرورة وجود مشرفتين على الرحلة .. ولكى أرشحك معى .

ـ أعتقد أننى سأكون مرتبطة بموعد هذا اليوم .. يمكنك أن تصحبى (صفاء) معك .

ـ لا تكونى سمجة .. أنت تعرفين أننى لن أذهب إلى هذه الرحلة بدونك .

ـ إذن .. توسلى إلىّ قليلاً !

تناولت (ندى) إحدى وسائد المقعد المجاور لها فى الشرفة ، وهمّت بأن تقذفها بها تعبيرًا عن غيظها .

لكن (نورا) سارعت برفع راحتيها أمام وجهها وهى تضحك قائلة :

ـ حسن .. حسن .. سأذهب معك .. لقد كنت أمازحك .

ومضت الصديقتان تتمازحان وتحادث كل منهما الأخرى بما يدور فى نفسها .. وكل منهما تشعر بأنها لا تريد أن تفارق الأخرى .

* * *



٢ - حادث فى الطريق ..

وقفت (نورا) أمام سيارة الأتوبيس الخاص بالرحلات ، تتابع صعود التلميذات إلى مقاعدهن وهى تنظمهن صفًا واحدًا .

بينما كانت (ندى) تتولى أمر الإشراف على جلوسهن فى المقاعد داخل السيارة ، وما لبثت أن تحركت السيارة بالتلميذات الصغيرات ومعهن (نورا) و (ندى) فى طريقها إلى (الفيوم) .

وقد اندمجت التلميذات فى جو حافل بالمرح واللهو ، فى حين جلست الصديقتان فى المقعد الخلفى وهما تتحدثان معًا .. دون أن تغفل إحداهما عن مراقبة الصغيرات .

كانت الأمور تبشر برحلة رائعة خاصة مع هذا الجو الصحو الذى تميز به مطلع اليوم .

لكن هذا المظهر المبشر لم يدم طويلاً .. فقد لاحظت (ندى) أن السائق يبدو على غير ما يرام .

فقد أخذ يسعل بشدة فى أثناء قيادته للسيارة .. وقد تقاطرت حبات العرق على جبينه .

وعبرت (ندى) لصديقتها عن قلقها قائلة :

- يبدو أن السائق مريض .

قالت لها (نورا) وهى تشاركها مخاوفها :

- لقد لاحظت ذلك أيضًا .. إن سعاله لم ينقطع منذ أن بدأت الرحلة .. كما أنه يبدو فى حالة شديدة من الإعياء .

- لم يكن يتعين عليه أن يتولى قيادة السيارة وهو على هذه الحالة .

قالت لها (نورا) وهى تغادر مقعدها :

- سأحاول تبين حقيقة الأمر .

واقتربت منه قائلة :

- عم (صابر) .. هل أنت مريض ؟

قال لها الرجل وهو يقاوم نوبات السعال التى تهاجمه :

- إنه بعض التعب البسيط .

- لكنك تبدو فى حالة شديدة من الإعياء .. وهذا السعال المتواصل ..

قال لها مقاطعًا وهو يحاول طمأنتها :

- لا تقلقى يا بنيتى .. إنها نوبة برد لحقت بى منذ بضعة أيام ، ولن تعوقنى عن القيادة .

جاءت (ندى) بدورها لتحادثه قائلة :

- إذا لم تكن قادرًا على مواصلة هذه الرحلة .. فيمكننا أن نعود من حيث أتينا .

حاول الرجل أن يرسم ابتسامة باهتة على وجهه المتعب قائلاً :

- لن أحرم هؤلاء الصغيرات من رحلتهن مهما كان الأمر .. فلابد أنهن كن ينتظرنها بفارغ الصبر .

- لم يكن يتعين عليهم أن يسندوا لك قيادة السيارة وأنت متعب هكذا .

قاوم الرجل إحدى نوبات السعال التى هاجمته قائلاً لها :

- إن العمل لا يرحم يا بنيتى .

- لكن من حقك أن تحصل على إجازة مرضية وأن يتولى زميل لك مهمة القيادة مكانك .

قال لها الرجل :

- إن الظروف حتمت أن أقوم بهذا الأمر .. لأنه لم يكن هناك بديل ليحل محلى .

- لكن هذه مسئولية .. خاصة مع وجود هؤلاء الصغيرات .

حاول أن يبدو متماسكًا ، وهو يمسح حبات العرق التى تقاطرت على جبينه قائلاً :

- اطمئنا .. سأوصلكم إلى الفيوم بسلام .. ومن هناك سأتصل بمقر الشركة ليرسلوا سائقًا آخر لكى يتولى أمر عودتكم .

لكن مخاوفهما لم تتبدد وظلتا ترقبانه بقلق وقد أشفقتا عليه من القيادة وهو على هذه الحالة .

ولم يكن هناك مناص من استكمال الرحلة بعد أن أصبحوا فى منتصف الطريق ، ومشقة العودة لا تقل عن مشقة الذهاب .

طلبت (ندى) من (نورا) أن تعود إلى المقعد الخلفى وتعمل على مراقبة التلميذات ، وتظل هى فى المقعد المجاور لسائق السيارة لكى ترقب تطور حالته .

لكن بعد دقائق قليلة بدأ الرجل يترنح أمام عجلة القيادة .. وتثاقلت عيناه واشتد سعاله .

هتفت (ندى) قائلة :

- عم (صابر) .. انتبه يا عم (صابر) !

قال لها الرجل بصوت لاهث :

- آسف يا بنيتى .. يبدو أننى لن أستطيع مواصلة القيادة .

ولم يكن بحاجة ليقول هذا .. فقد بدا واضحًا أنه وصل إلى حالة سيئة للغاية .. وبدأ يفقد زمام السيطرة على السيارة التى أخذت تتأرجح يمينًا وشمالاً .

وأثار هذا مخاوف الصغيرات اللواتى انطلقت صرخاتهن .. برغم محاولات (نورا) بث الطمأنينة فى نفوسهن .

وبصعوبة بالغة تمكن الرجل من إيقاف السيارة .. ثم ما لبثت رأسه أن تهاوت فوق عجلة القيادة ليغيب عن الوعى .

واندفعت (نورا) و (ندى) نحوه وهما تغالبان انفعالهما محاولتين إعادته للوعى .

وبعد قليل بدأ ينتبه قليلاً .. وفتح عينيه بصعوبة .

قالت له (ندى) بإشفاق :

ـ اطمئن يا عم (صابر) .. سننقلك إلى أقرب مستشفى .

قال لها بصوت واهن :

ـ هل منكما من تستطيع قيادة السيارة ؟

قالت له (نورا) :

ـ كلا .

سألها قائلاً وقد ازداد صوته ضعفًا :

ـ إذن .. ماذا ستفعلان ؟

قالت له (ندى) مطمئنة :

ـ لا تقلق بشأننا .. سنحاول إيقاف أية سيارة فى الطريق ونطلب من صاحبها المساعدة .

وهبطت (نورا) من السيارة لتشير لأية سيارة قادمة ، علّ صاحبها يستطيع أن يقدم لهم يد المساعدة فى هذا الموقف العصيب الذى وجدوا أنفسهم فيه .

بينما بقيت (ندى) فى السيارة مع الصغيرات وهى تحاول تهدئتهن وبث الطمأنينة فى نفوسهن .

مرت نصف ساعة وهى واقفة فى الطريق تشير إلى السيارات القادمة ، لم يمر خلالها سوى أربع سيارات فقط تجاهلت إشارتها للتوقف .

وأخيرًا توقفت السيارة الخامسة .. وقد أطل من نافذتها وجه لشاب أسمر وسيم .. ألقى نظرة على (نورا) .. ثم على السيارة المدرسية قائلاً :

ـ هل تحتاجين أية مساعدة ؟

ـ إن سائق السيارة مريض .. وقد أصيب بإغماءة .. ولا يستطيع مواصلة القيادة .

سألها قائلاً :

ـ وما هى المساعدة التى أستطيع أن أقدمها ؟

ـ أن تنقل السائق معك إلى أقرب نقطة إسعاف أو مستشفى ، وتتصل بمقر المدرسة ليرسلوا لنا سائقًا آخر .

قال لها مرحبًا :

ـ لا مانع لدى من ذلك .

وغادر سيارته .. فرأته أمامها بقامة فارعة وقوام رياضى ، أضفى عليه المزيد من الجاذبية ..

وصعد الشاب إلى السيارة المدرسية وفى إثره (نورا) .. حيث ألقى نظرة على التلميذات الصغيرات .. ثم على السائق الذى تمدد على المقعد الخلفى .

أخيرًا استقرت عيناه على (ندى) التى تعلقت آمالها به لمواجهة هذا الموقف الصعب .

وابتسم قائلاً دون أن يرفع عينيه عنها :

ـ اطمئنوا سيكون كل شىء على ما يرام .

سألته (ندى) قائلة :

ـ هل يمكنك مساعدتنا حقًا ؟

أجابها قائلاً وقد بدا لها فى صوته ما يبعث على الثقة والطمأنينة :

ـ بالطبع .

ثم نظر إلى السائق قائلاً :

ـ هل حالته خطيرة ؟

كان السائق قد عاودته الغيبوبة مرة أخرى .. وبدا وجهه شديد الاصفرار .. فلم يكن ثمة داع للسؤال ..

قالت له (ندى) :

ـ لا أدرى .. أعتقد أنه مريض للغاية .

تقدم نحوه ليمسك بمعصمه وهو ينظر إلى ساعته لبرهة من الوقت .

ثم ما لبث أن قال لهما :

ـ النبض طبيعى .

ووضع أذنه على صدره وهو ينصت قليلاً .. ثم أردف قائلاً :

ـ ودقات قلبه منتظمة .

واستطرد قائلاً :

ـ أعتقد أن حالته ليست خطرة على النحو الذى تتوهمانه .

قالت (نورا) :

ـ لكنه فقد وعيه .

قال لها بصوت هادئ النبرات :

ـ أحيانًا يؤدى الإرهاق الشديد فى العمل إلى فقدان الوعى .

ـ لقد أخبرنى أنه أصيب بنوبة برد شديدة .

نظر إلى التلميذات الصغيرات قائلاً :

- فى هذه الحالة يستحسن أن تبعدا هؤلاء الصغيرات عنه حتى لا تصيبهم العدوى .

سألت (نورا) :

- هل أنت طبيب ؟

ابتسم قائلاً :

- كلا .. لكن ما قلته لا يحتاج لأى خبرة طبية .

ووجه حديثه إلى (ندى) قائلاً :

- لقد أخبرتنى صديقتك أنكما ترغبان فى أن أتولى نقله إلى سيارتى ، لأوصله إلى أقرب نقطة إسعاف أو مستشفى للعمل على العناية به .

- سنكون ممتنين لك إذا فعلت ذلك .

تطلع إليها قائلاً :

- وهل أترككما هنا بمفردكما فى هذا المكان المقفر ؟

- لا حيلة لنا فى ذلك .. فنحن لن نستطيع أن نترك هؤلاء الصغيرات بمفردهن .. وبالطبع لن تتحمل سيارتك وجودنا جميعًا معك .

قالت (نورا) :

- إننا سنعتمد على اتصالك الهاتفى من أقرب مكان بالمدرسة لكى يرسلوا لنا من يتولى إعادتنا .

وتطلع إلى التلميذات وعلى وجهه ابتسامة جذابة قائلاً :

- وتحرمن هؤلاء الصغيرات من رحلتهن المدرسية ؟

- لم تعد الظروف تسمح بذلك .

قال لها :

- لدى اقتراح آخر .

- ما هو ؟

أجابها قائلاً :

- سأترك سيارتى هنا وأتولى بنفسى قيادة هذه السيارة لأنقل السائق إلى أقرب نقطة إسعاف .. ثم نجرى الاتصال الهاتفى .. وبعدها أواصل الطريق بكم إلى المكان الذى ترغبون فى الذهاب إليه ، وأنتظر وصول السائق الذى سيقلكم فى العودة أو أعيدكم بنفسى .

- ولكن .. هذا كثير .

ابتسم قائلاً :

- هذا أقل واجب .

- ولكن .. ماذا عن سيارتك ؟.. هل ستتركها هنا هكذا ؟

أجابها قائلاً فى بساطة :

- وما الذى سيحدث لها ؟ إننى سأعود إليها مرة

أخرى لو سمحتم لى بأن أرافقكم فى رحلة العودة .. أو أرسل بمن يعيدها لى ..

- مازلت أرى أننا نحملك بالكثير .. ويكفى أن تنقل السائق إلى أقرب نقطة إسعاف وتجرى الاتصال الهاتفى .

قاطعتها (نورا) قائلة :

- كفاك معارضة يا (ندى) .. الأستاذ تطوع أن يتولى قيادة السيارة بنفسه ويقدم هذه المساعدة الكبيرة لنا .. من أجل ألا يحرم الصغيرات من رحلتهن .. ونحن لا نضمن أن يجد السائق الذى يمكنه أن يأتى ليقلنا .. فليس أمامنا سوى أن نقبل عرضه الكريم شاكرين .

قالت له (ندى) :

- لكننا نخشى أن نعطلك عن عملك .

بقى محتفظًا بابتسامته الساحرة قائلاً :

- إننى غير مرتبط بأى عمل اليوم .. وفى الحقيقة أنا فى إجازة .. ولا يوجد ما يشغلنى طوال الأيام الخمسة القادمة .

قالت له (نورا) سريعًا :

- إننا ممتنتان لك .. وفى الحقيقة إنك ستقدم لنا بذلك خدمة جليلة .

تقدم نحو عجلة القيادة قائلاً :

- أعتقد أنه يتعين علينا أن نتحرك سريعًا .. لنقل الرجل المريض إلى أقرب نقطة إسعاف .

ولم يلحظ أثناء قيادته للسيارة نظرات الإعجاب التى رمقته بها كل من الصديقتين .

* * *



٣ - نظرة إعجاب ..

قالت (نورا) لصديقتها :

- لقد ألقت العناية الإلهية فى طريقنا بهذا الشاب .. فلولاه لم نكن لنعرف كيف نتصرف فى هذا الموقف العصيب .

قالت (ندى) وهى تتطلع إليه بنظرة مختلسة :

- المهم أن يتمكن من الوصول بنا إلى أقرب مستشفى أو نقطة إسعاف ، فى أسرع وقت حتى نطمئن أولاً على عم (صابر) .

قالت (نورا) وبريق الإعجاب يلمع فى عينيها :

- ألا تتفقين معى فى أنه يبدو شديد الجاذبية ؟

واجهتها (ندى) بنظرة معاتبة قائلة :

- وما شأننا بجاذبيته ؟ إننا الآن بصدد مرض عم (صابر) .

- ألم يقل لك إن حالته غير خطيرة ؟

تطلعت (ندى) إلى الرجل بإشفاق قائلة :

- أتمنى ذلك .

- لكننا لم نعرف اسمه حتى الآن .

- وما الذى يعنيك من اسمه ؟

- مادام الرجل قد تطوع لتأدية هذه الخدمة لنا .. فلا أقل من أن نتعارف .

- هل هذا هو كل ما يهمك ونحن نمر بهذه الظروف .. التعارف ؟

- لا تضخمى الأمر .. إن الظروف ستنقضى على خير .. وسوف ننقل عم (صابر) إلى المستشفى ليستعيد صحته خلال ساعات معدودة .. ونواصل رحلتنا إلى الفيوم لنقضى جميعًا وقتًا ممتعًا هناك ، ثم نعود بأمن وسلام .

- أدعو الله أن تسير الأمور على هذا النحو .

ابتسمت (نورا) قائلة :

- ستسير على هذا النحو .. فلا داعى للتشاؤم يا صديقتى .

واستطردت قائلة :

- ما رأيك لو قدمنا له بعض السندوتشات وكوبًا من الشاى ؟

أعتقد أن هذا أقل واجب نقدمه له .

- تولى أنت هذا الأمر . وسأبقى أنا هنا بجوار عم (صابر) .

اقتربت (نورا) من المقعد المجاور له وهى تسوى شعرها فى دلال أنثوى قائلة :

- إننى أشكرك مرة أخرى على إنقاذك للموقف .

ألقى نظرة سريعة عليها .. ثم عاد لينظر إلى الطريق أمامه قائلاً :

- لا شكر على واجب .. ثم إن أى شىء يهون فى مقابل إسعاد هؤلاء الفتيات الصغيرات ومدرساتهن الجميلات .

وقال عبارته الأخيرة وهو يرمقها بنظرة تنم عن إعجابه .. وعلى نحو جعلها لا تقوى على مواجهة عينيه ، فخفضت رأسها وقد تضرج وجهها بالاحمرار ..

وعاد لينظر إلى الطريق أمامه كأنه لم يقل شيئًا دون أن يدرى ما أحدثته نظرته وكلماته بها من ارتباك .

سألته قائلة :

- هل تسمح لى بأن أسألك عن اسمك ؟

ابتسم قائلاً :

- (مجدى) .. (مجدى شاكر) .

وعاد لينظر إليها بطرف عينيه قائلاً :

- وأنت ؟

أجابته قائلة :

- (نورا) .

- (نورا) .. اسم جميل .

- أشكرك .

- وزميلتك ؟

- اسمها (ندى) .. ونحن أكثر من زميلتين .. إننا صديقتان .. بل صديقتان حميمتان .. ونعد بمثابة أختين .

- إن الصداقة شىء جميل .. وتنطوى على معان عظيمة .

ووجدت (نورا) لسانها ينطلق فى الحديث إليه قائلة :

- لقد ربطت هذه الصداقة بيننا منذ الطفولة .. فحينما جاءت (ندى) إلى السويس مع عمها بعد وفاة والديها جمعت بيننا زمالة الدراسة التى انقلبت سريعًا إلى صداقة قوية .. حتى أننا أصبحنا متلازمتين تقريبًا .

قال لها بمرح :

- وهكذا امتدت هذه الصداقة بين التلميذتين الصغيرتين إلى أن أصبحتا مدرستين جميلتين .

وعاد وجهها ليتضرج بالاحمرار وهى تستمع لهذا الإطراء .. لكنها تغلبت على خجلها سريعًا قائلة :

- هل تعرف أنك تبدو لطيفًا للغاية ؟

- أشكرك .

- لقد أحضرت لك بعض السندوتشات .. لعلك تكون جائعًا ..

- أشكرك مرة أخرى .. ولكنى غير جائع .

- إذن هل تتناول كوبًا من الشاى ؟

- هذا هو ما أحتاج إليه تمامًا .

وصبت له (نورا) كوب شاى من (الترموس) الذى تحمله فى يدها وقدمته له .

فتناول منه رشفة قائلاً :

- شاى ممتاز .

ثم سألها قائلاً :

- يبدو أن صديقتك لا ترانى شخصًا لطيفًا مثلك .

- بالعكس إنها تبدى تقديرًا كبيرًا نحوك .

- إذن .. فلماذا هى عازفة عن الحديث معنا ؟

- إنها تشعر بالقلق تجاه عم (صابر) ، وتعمل على العناية به حتى توصله إلى المستشفى .

- يبدو أنها تتميز بعطف وحنو شديد .

- إن هذا ما يميزها بالفعل .

وصمتت برهة وهى ترقبه .. ثم سألته قائلة :

- لقد قلت إنك فى إجازة .. فهل تمارس عملاً حكوميًا ؟

- بل أمارس عملاً حرًا .. فأنا أعمل فى التجارة ، ولدى شركة صغيرة للتصدير والاستيراد .

ابتسمت قائلة :

- لابد أن هذا العمل يدر عليك ربحًا وفيرًا .

هز رأسه قائلاً :

- أنت تعرفين التجارة لا تستقر على حال .. أحيانًا تكون هناك أرباح ، وأحيانًا أخرى تكون هناك خسائر .. لكن على كل حال فإن الأمور تسير بالنسبة لى سيرًا طيبًا .

وتأملت أصابع يده على عجلة القيادة قائلة :

- مادام الأمر كذلك .. فلمَ لم تفكر فى الاستقرار العائلى ؟

نظر إليها بدهشة قائلاً :

- ولكنى مستقر فى حياتى والحمد لله .

- إننى أعنى الاستقرار الذى يجلبه الزواج .. شخص ناجح فى عمله لا ينقصه إلا الزوجة والأبناء .

ابتسم قائلاً :

- إننى لم أفكر فى هذا الأمر بعد .. وإن كان الزواج لا يعنى الاستقرار دائمًا .

- إنه يعنى ذلك لو أحسن المرء الاختيار .

- ومن قال إن الاختيار سهل فى عصرنا هذا ؟

- لو بحثت .. لوجدت .

- فى الحقيقة إن عملى يأخذ كل وقتى على نحو لا يسمح لى بالبحث .

قالت له بخبث :

- هل أفهم من ذلك .. أنه لا وقت لديك للهو والترفيه ؟

- بالطبع لا .. إننى أستمتع بحياتى كلما أتيحت لى الفرصة والوقت الكافى .. لكننى لن أختار زوجة المستقبل من الأماكن التى أرتادها للهو والترفيه .

واستطرد قائلاً :

- على كل حال .. أعدك بأننى سأعمل بنصيحتك .

ثم عاد ليقول :

- لكن أليس من الغريب أننا قد تحادثنا معًا بمثل هذا التبسط ، وتقاربنا سريعًا على هذا النحو ؟

- أرجو ألا يضايقك هذا .

- بالعكس .. إننى سعيد لذلك .. ولو أنى كنت أتمنى لو تقابلنا فى ظروف أفضل من هذه .

وتأملته (نورا) بإعجاب شديد .. ثم ارتدت عائدة إلى المقعد الخلفى ، وعيناها تفضح هذا الإعجاب .

سألتها (ندى) قائلة :

- فيم كنتما تتحدثان طوال هذا الوقت ؟

قالت لها (نورا) بارتباك :

- كنت أشكره على موقفه النبيل معنا .

رمقتها (ندى) بنظرة تنم عن تشككها قائلة :

- كل هذا الحديث كان قاصرًا على الشكر والامتنان ؟

قالت لها (نورا) وقد ازداد ارتباكها :

- لا .. بالطبع .. لقد تحادثنا فى أمور شتى .

كتمت (ندى) ضحكتها بيدها .. قائلة :

- وما كل هذا الحياء .. والخجل الذى هبط عليك فجأة هكذا ؟

نظرت إليها (نورا) بغضب قائلة :

- لماذا ؟.. وهل عرفت عنى أننى قليلة الحياء ؟

- لا أقصد .. لكنك تبدين مرتبكة للغاية .

واستطردت قائلة وهى تهمس فى أذنها :

- هل أسمعك بعض عبارات الغزل ؟

- تقصدين أنه غازلنى ؟.. كلا .. كلا بالطبع .. لم يفعل ذلك .. إنه شاب مهذب للغاية .

ألقت (ندى) نظرة فاحصة عليه ثم رجعت رأسها إلى الوراء قائلة :

- حسن .. هذا أفضل ، فلو فعل ذلك لكنت قد غيرت رأيى فيه ، وقلت إنه يحاول أن يستغل الظروف ومساعدته لنا .

تطلعت (نورا) إليه قائلة :

- إنه أنبل من أن يفعل ذلك .

بينما تأملتها (ندى) قائلة :

- من الواضح أنك معجبة به للغاية .

قالت لها (نورا) وقد عاودها الارتباك :

- هه ؟.. ألا ترين معى أنه يستحق الإعجاب ؟

واستطردت قائلة :

- إنه يعمل فى التصدير والاستيراد .. ولديه شركة صغيرة يديرها بنفسه ... و ...

قاطعتها (ندى) وهى مازالت ترمقها بنظراتها قائلة :

- وماذا .. أيضًا ؟

انتبهت (نورا) لنظرات صديقتها قائلة :

- (ندى) .. ماذا ألم بك ؟

- ماذا ألم بك أنت يا صديقتى العزيزة ؟

وفجأة توقفت السيارة وغادر (مجدى) مقعده أمام عجلة القيادة ليقترب منهما قائلاً :

- لقد عثرت على وحدة صحية قريبة .. أعتقد أننا سنجد فيها غايتنا ..

سألته (ندى) قائلة :

- أين هى ؟

يمكنك أن تريها من النافذة .

أطلت (ندى) من النافذة لترى الوحدة الصحية .. ثم سألته قائلة :

- هل تعتقد أن عم (صابر) سيجد فيها العناية الطبية اللائقة ؟

- ذلك ما سوف يقرره طبيب الوحدة .. لكنى أعتقد أنه يمكن أن يلقى فيها علاجًا سريعًا لحالته .. وإن كنت أظن أن الأمر لن يستدعى نقله إلى المستشفى .

على كل حـال سـأذهب إلـى الوحـدة الصحيـة أولاً لأخبرهم بالأمر .. وأرى ما إذا كان الطبيب موجوداً أم لا .. ومدى استعدادهم لعلاج حالته .

كما سأنتهز الفرصة وأرى ما إذا كان لديهم هاتف ، يمكنني عن طريقه الاتصال بالسويس لإمدادنا بسائق يتولى العودة بالسيارة .

وغادر السيارة .. ثم عـاد بعد قليـل ومعـه أحـد الممرضين ، حيث توليا نقل السائق إلى داخل الوحدة الصحية .

وبقيت (نـورا) و (نـدى) ومعهمـا (مجـدى) بجواره حتى انتهى الطبيب من توقيع الكشف الطبي عليه .

ثم التفت إليهم قائلاً :

ـ اطمئنوا .. إنهـا نزلـة بـرد أدت إلى وجـود بعض المضاعفات ، ويمكننا علاجه هنا ببعض الأدوية والحقن .

سألته (ندى) قائلة :

ـ ألن يمكننا اصطحابه معنا ؟

أجابها الطبيب قائلاً :

ـ يمكنكم بالطبع .. وإن كان بحاجة إلى العلاج السريع والراحة لبضع ساعات .. فهل يمكنكم الانتظار معه

طوال هذا الوقت ؟

قالت له (ندى) سريعًا :

ـ أنا سأنتظر معه .

قالت لها (نورا) هامسة :

ـ (ندى) .. هل نسيت الرحلة .. والبنات ؟

ـ اصطحبى أنت البنات ليستكملن رحلتهن .. وسأبقى أنا معه لحين عودتكم .

قال لها (مجدى) :

ـ وما المانع فى أن تأتى معنا .. ثم نعود جميعًا لنصطحب عم (صابر) معنا فى أثناء مرورنا على الوحدة الصحية فى رحلة العودة .. فبقاؤك هنا لن يفيده بشىء .

بدا عليها التردد .. لكن (مجدى) وجه حديثه إلى الطبيب قائلا :

ـ ما رأيك يا دكتور ؟

أجابه قائلا :

ـ اطمئنوا .. إنه سيلقى هنـا العنـاية الواجبـة لحين عودتكم .

أمسكت (نورا) بذراعها قائلة :

ـ حسن .. ها هو ذا الطبيب قـد طمأننـا .. فلنستكمل رحلتنا الآن .

وماذا عن الاتصال الهاتفى ؟

قال (مجدى) :

- إن الهاتف هنا معطل .. وسوف أسعى للاتصال من الفيوم .

وعادوا جميعًا إلى السيارة بعد أن تركوا السائق فى الوحدة الصحية ، حيث استأنف (مجدى) قيادتها فى طريقه إلى الفيوم .

* * *



٤ - الجائزة ..

وقف (مجدى) يرقبهما وهما تلاعبان الصغيرات .. وقد اشتركتا معهن فى مرح طفولى .

وأحس وهو يرى (ندى) تشارك تلميذاتها فى اللعب ، وقد ارتسمت ابتسامة مشرقة على وجهها أنها تناست تمامًا شخصيتها كمدرسة ، وغدت طفلة صغيرة مثلهن .. لا تقل عنهن براءة .

وما لبث أن لمح (نورا) وهى قادمة نحوه .. فابتسم لها حيث سألته قائلة :

- لماذا تقف وحدك بعيدًا هكذا ؟

- أتأملكن .

قالت له بشقاوة :

- وبدلًا من أن تتأملنا لم لا تأتى لتشاركنا اللعب ؟

- لا أحب أن أكون متطفلًا .

قالت له بجرأة وهى تجذبه من يده :

- لا تكن سخيفًا .. تعال لتشاركنا اللعب .

وكانت (ندى) قد ألقت الكرة فى هذه اللحظة إلى إحدى تلميذاتها التى لم تنجح فى التقاطها .. فسارع (مجدى) بإمساكها وهو يبتسم لها .

نظرت (ندى) إليه وقد جعلتها ابتسامته الجذابة ترتبك بعض الشيء ، وقالت لنفسها وهى تشعر بتلك الجاذبية التى تشع من عينيه :

ـ الآن فهمت سر ارتباكك يا (نورا) ويمكننى أن ألتمس لك العذر .

وقذف إليها بالكرة ، فتركتها تسقط أمامها ، وقد اعترتها لحظة من الشرود قبل أن تندفع وراءها لتناولها .

وما لبث أن انخرط الجميع فى اللعب والمرح .

وجد (مجدى) نفسه يتآلف معهن سريعًا وكأنه يعرفهن منذ فترة بعيدة .

حتى التلميذات الصغيرات أحببنه وتآلفن معه فى وقت قصير ..

وبعد فترة من الوقت قالت له (نورا) وهى تلهث من شدة التعب :

ـ يكفى هذا .. إننى لن أستطيع أن أجاريك فى الركض .

نظر إلى (ندى) قائلاً :

ـ وأنت .. هل تعبت ؟

أجابته قائلة :

ـ كلا .

نادى إحدى التلميذات قائلاً :

ـ (سميرة) .. ستعمدين إلى الاختفاء وراء هذه الخميلة من الأشجار أنت وزميلاتك .. بينما سنعمد إلى الاختفاء أنا وأستاذتك فى مكان ما هنا .. وعليكن أن تنطلقن للبحث عنا .. ومن تعثر علينا أولاً ستكون لها مكافأة .. اتفقنا ؟

فرحت التلميذات بهذه اللعبة ووافقنه عليها .. فى حين قالت لهما (نورا) :

ـ وأنا سأعد لكم الطعام ريثما تنتهون من لعبتكم المملة هذه .

قال لـ (ندى) :

ـ تعالى معى .. سأرشدك إلى مكان لا يمكنهن العثور علينا فيه .

ابتسمت قائلة :

ـ لا أعتقد أن هذا هو الهدف من اللعبة .. فنحن لن نختفى عنهن طوال الوقت .

ووجد نفسه يهمس لها بتلقائية قائلاً :

ـ ليتنا نفعل ذلك .

نظرت إليه باستغراب قائلة دون أن تتبين كلماته :

- ماذا تقول ؟

أجابها سريعًا قائلاً :

- إننى أقصد أن هذا هو الغرض من اللعبة .. فلن تكون لعبة ناجحة ما لم نصعبها على الصغيرات .. لكننا لن نختفى عنهن حتى النهاية بالطبع .

- اصطحبها إلى ركن قصىّ تحوطه الأشجار من كل جانب .

وأحست بالارتباك عندما وجدت نفسها بمفردها معه وقد وجدت عينيه تحاصرانها .

حاول أن يبدأ حديثًا معها قائلاً :

- سيصعب عليهن العثور علينا هنا .

قالت له والارتباك واضح فى صوتها :

- سنمنحهن عشر دقائق فقط من أجل العثور علينا .. بعدها نترك هذا المكان .

همس لها قائلاً :

- اجعليها عشرين دقيقة .

- لن يحتجن إلى كل هذا الوقت من أجل العثور علينا .

عاد ليقول لها وعيناه تحاصرانها :

- هل تخشين من وجودك معى بمفردك ؟

قالت له وكأنها تدفع اتهامًا عن نفسها :

- أنا .. لماذا ؟

- إننى أكاد أشعر بذلك .

- أنت مخطئ فى شعورك هذا .

- أتمنى ذلك .

تلفتت حولها لتدارى ارتباكها قائلة :

- المكان جميل هنا .

سألها قائلاً :

- هل أعجبك ؟

- لابد أنك قد جئت إلى هنا فى مرات سابقة .

- هذه هى المرة الثالثة .

واستطرد هامسًا وهو يقترب منها :

- لكن هذه هى المرة الأولى التى يزداد فيها إحساسى بجمال المكان ..

ابتعدت قليلاً وقد تضرجت وجنتاها بالاحمرار .

كان صوته لا يقل إغراء وجاذبية عن البريق الذى يشع من عينيه ، وتساءلت عن سر هذا الارتباك الذى تستشعره وهى واقفة معه ، وهذا الإحساس الغريب الذى يتسلل إليها ولم تعرفه من قبل .

ومرة أخرى التمست العذر لصديقتها لوقوعها تحت تأثير ذلك الساحر الوسيم .

قال لها محاولاً مساعدتها على التغلب على حالة الارتباك التى تعتريها :

ـ لقد أخبرتنى (نورا) أنكما صديقتان حميمتان منذ الطفولة .

ـ إننا كذلك بالفعل .

ـ جميل أن تدوم الصداقة بينكما كل هذه السنين .

ـ إن (نورا) هى صديقتى الوحيدة بالمعنى الحقيقى لكلمة الصداقة .

ـ لابد أنها فتاة سعيدة الحظ لأنها وجدت لها صديقة مخلصة مثلك .

ـ أنا أيضًا سعيدة الحظ لأن لى صديقة مثل (نورا) .

ـ لقد أخبرتنى أنك تعيشين مع عمك .

قالت (ندى) وفى صوتها نبرة احتجاج :

ـ لقد تطرقت معك إلى أمور كثيرة تخصنى .

سألها قائلاً :

ـ هل ضايقك هذا ؟

ـ كلا .. إننى أقيم بالفعل مع عمى وزوجته منذ الطفولة .. بعد وفاة والدىّ .

سألها قائلاً :

ـ وهل أنت مرتبطة بشخص ما ؟.. حبيب .. خطيب ؟

قالت له بغضب :

ـ وما شأنك بذلك ؟

أجابها قائلاً :

ـ تستطيعين أن تقولى إننى أشعر بشىء من الاهتمام نحوك .

قالت له معترضة :

ـ يبدو أنك مصرّ على أن تخيب آمالى فيك .

سألها قائلاً :

ـ ماذا تعنين ؟

أجابته قائلة :

ـ لقد ظننت أنك قد قدمت لنا يد المساعدة بدافع من النبل والشهامة .

ـ وهل أصبح لديك شك فى ذلك ؟

ـ إننى أرى أنك تحاول استغلال الموقف الآن لصالحك . لكن إذا ظننت أن مساعدتك لنا ستعنى أن يكون لك الحق فى التمادى فيما تقوله أو تفعله فإنك تكون مخطئًا .

ابتسم قائلاً :

ـ كل ذلك .. لأننى أبديت بعض الاهتمام بك ؟

لم تكن (ندى) قد مرت بعلاقة عاطفية من أى نوع فى حياتها .. ولم تكن لها تجارب فى الحياة تمكنها من الحكم على الأشخاص بطريقة صحيحة . لذا لم تر فى (مجدى) وهو يحادثها على هذا النحو سوى صورة لشاب عابث .. يسعى لمغازلتها والتودد إليها بأسلوب منمق ، وأنه لابد قام بفعل نفس الشىء مع (نورا) معتمدًا فى ذلك على جاذبيته ومساعدته لهما فى الموقف العصيب الذى تعرضتا له .

ولم تكن تريد لنفسها أن تقع تحت نفس التأثير الذى تعرضت له صديقتها ، ورأته واضحًا على وجهها بعد تحدثها إليه .

قال لها (مجدى) وفى صوته نبرة عتاب :

ـ إذا كان هذا هو ظنك بى .. فإننى آسف لاهتمامى بك .

لكنه استطرد قائلاً :

ـ لكننى لا أستطيع ألا أهتم بك .. لأننى مهتم بك بالفعل .. وأؤكد لك أننى لا أحاول استغلال مساعدتى لكما ، أو أسعى لتجاوز الحدود ، أو أى شىء من هذا القبيل .

عادت لتقول له وفى صوتها نبرة اعتراض :

ـ أستاذ (مجدى) !

ـ لكنه قاطعها قائلاً :

ـ (مجدى) فقط من فضلك ..

همت بمغادرة المكان قائلة :

ـ أعتقد أنه من الأفضل أن نبرح هذا المكان الآن .

لكنه أمسك بساعدها ليمنعها من ذلك قائلاً :

ـ (ندى) .. لا تفهمينى بصورة خاطئة .. ليس إثمًا ولا عيبًا أن يجد المرء نفسه معجبًا بشخص ما ومهتمًا بأمره .. هذا أمر يحدث كل يوم .

أحست بيدها ترتجف تحت تأثير أصابعه التى تمسك بساعدها .. لكنها قاومت ذلك وجذبت ساعدها من يده .

وجاهدت لكى تبدو نبرات صوتها قوية برغم ضعفها قائلة له :

ـ إذا كنت تظن أنه يمكنك التأثير علىّ ببضع كلمات منمقة ..

مرة أخرى قاطعها قائلاً :

ـ إننى لا أحاول التأثير عليك أو اللجوء لأسلوب الكلمات المنمقة .. إننى أعبر عما أشعر به .

سألته قائلة :

ـ ماذا تريد منى ؟

وقبل أن ينطق بشىء وجدا تلميذتين تبرزان لهما من وراء الأشجار وقد هتفت إحداهما قائلة :

ـ لقد عثرنا عليكما !

فزعت (ندى) من وقع المفاجأة .. وكادت أن تزل قدماها وهى تتراجع إلى الوراء .. فسارع (مجدى) بالإمساك بها .

لكنها سرعان ما تمالكت نفسها وقد أحست بالخجل من فزعها على هذا النحو ..

سألت الطفلة (مجدى) قائلة :

ـ الآن نريد الحصول على المكافأة التى وعدتنا بها .

ابتسم (مجدى) وهو يربت على رأسها قائلاً :

ـ المكافأة .. آه بالطبع !

وتبادل هو و (ندى) النظرات .. ثم ما لبثا أن انخرطا فى الضحك .. فقد اقتحمت كل تلميذات المدرسة المكان وهن يطالبن بالمكافأة التى وعدهن بها .

وصفق (مجدى) بيديه ليصرفهن قائلاً :

ـ حسن .. حسن .. سنجد وسيلة لتقسيم المكافأة بينكن .. ولكن هيا بنا الآن لنتناول الغداء أولاً .. فلابد أنكن تشعرن جميعًا بالجوع .

وسبقتهم التلميذات إلى المكان الذى أعدته (نورا) لتناول الطعام .. وهما فى إثرهن .

ضحكت (ندى) من نفسها قائلة له :

ـ كان موقفًا حرجًا للغاية أن أبدو أمام تلميذاتى فزعة هكذا .. لكنى فوجئت بوجودهن تمامًا .

رد عليها قائلاً :

ـ إن الأكثر حرجًا بالنسبة لى هو أن أجد نفسى مضطرًا للبحث عن جائزة يمكن تقسيمها على كل هؤلاء التلميذات .

* * *



٥ - ذكرياتنا الجميلة ..

حدقت (ندى) فى صديقتها وهما عائدتان من المدرسة فى الطريق الذى اعتادتا السير فيه ، قائلة لها باستغراب :

- (نورا) .. ماذا بك ؟

أفاقت (نورا) من شرودها قائلة :

- هه .. ماذا تقولين ؟

- إنك لم تنطقى بكلمة واحدة منذ مغادرتنا المدرسة .. وتبدين شاردة تمامًا .. أين ذهب لسانك الثرثار ؟

احتضنت (نورا) حقيبتها قائلة لها وهى هائمة :

- (ندى) .. إننى أحب .

توقفت (ندى) عن السير وهى تنظر إليها بدهشة قائلة :

- ماذا قلت ؟

قالت لها بصوت حالم :

- أقول لك .. إننى أحب .

ازدادت دهشتها وهى تقول لها :

- تحبين من ؟

- (مجدى) !

- (مجدى) .. من ؟

قالت لها (نورا) مستنكرة :

- (ندى) .. هل نسيته سريعًا ؟ الشاب الذى قاد سيارة الرحلات .. وقضينا معه وقتًا رائعًا بالأمس .

قالت (ندى) دون أن تتخلص من دهشتها :

- هل أنت بلهاء ؟ تحبين شخصًا لم تلتقى به سوى يوم واحد ولا تعرفين عنه شيئًا ؟

- إن ما عرفته عنه وما لمسته من شخصيته يكفى لكى يجعلنى أحبه .. فهو شاب وسيم ولطيف ويتميز بشخصية ساحرة .

- إنك تتصرفين كالمراهقات .

- لماذا ؟ ألا ترين أن شابًا مثله يستحق أن يحب ؟

- إن المظاهر الخارجية لا تكفى للحكم على الأشخاص أنا أفهم أن تعجبى به .. لكن أن تحبيه فهذا أمر يحتاج إلى معرفة أكثر .. فلا تجعلى المشاعر تختلط عليك .

- إن الإعجاب هو الطريق المؤدى إلى الحب .. وقد أعجبت به فى البداية .. ثم وجدت نفسى فى نهاية اليوم غارقة فى حبه .. وأنا واثقة من مشاعرى نحوه .

- هكذا بدون تعقل ولا تروٍّ .

- إننى لن أحبه بالعقل ولا بالتروى .. إننى أحببته فحسب .. وهذا هو شعورى الذى أعبر لك عنه .

إننى لم أنم طوال الليل وأجد نفسى غير قادرة على أن أبعد عقلى عن التفكير فيه .

- لابد أنه عمل على أن يستميل عقلك وقلبك بعباراته المنمقة .

- بالعكس .. لقد تعامل معى بمنتهى الرقة والتهذيب .

- هل أخبرك أنه يحبك ؟

- كلا .. إنه لم يقل ذلك بالطبع .. لكننى أعتقد أنه معجب بى .

- حسن .. إن الإعجاب وحده لا يكفى .. فماذا لو لم يتجاوز شعوره نحوك سوى الإعجاب ؟

- إننى قادرة على أن أجعله يحبنى .

- قادرة .. هل تظنين أن الحب شىء يعمل بالأزرار ؟.. تضغطين على الزر الذى ترغبينه فتتحرك مشاعر الآخرين على هواك ؟

- لماذا تحاولين إحباط مشاعرى ؟

- إننى لا أحبط مشاعرك .. لكننى أريد أن تكونى مبصرة لما أنت مقدمة عليه .. وألا تورطى نفسك فى أحاسيس مجهولة لا تعرفين إلى أين تقودك .

فتلك النظرة الهائمة التى أراها فى عينيك .. وحديثك عنه بهذا الشكل يوحى بالقلق .. خاصة إذا لم يكن يبادلك مشاعرك هذه .

ابتسمت (نورا) قائلة فى دلال :

- هل أنت قلقة علىَّ ؟ أم تغارين منى ؟

قالت (ندى) بغضب :

- أغار منك .. (نورا) .. ماذا تقولين ؟

قالت لها سريعًا وهى تعتذر :

- حسن .. حسن .. لا تغضبى .. إننى أضحك معك فقط .. لكن قولى لى بصدق : ألا يستحق هذا الشاب الإعجاب .. وأن يُحبَ ؟

أيمكنك أن تنكرى أنك قد أعجبت به ؟

تجاهلت (ندى) السؤال .. بل أحست بالانزعاج منه .. ومن نفسها .. فلو أمكن لـ (نورا) أن تطلع الآن على ما بداخلها .. لو أمكنها أن تقرأ أفكارها .. وأن ترى خفقان قلبها ، لعرفت أنها تحمل له ذات المشاعر .

نعم .. إنها برغم كل النصائح وكل التحذيرات التى تحاول أن تقنع بها صديقتها قد وقعت فى المحظور . والغريب أنها لم تكن مستعدة للاعتراف بذلك حتى الآن ،

لولا هذا السؤال الذى طرحته عليها (نورا) بطريقة تلقائية .

لقد أحست بهذه المشاعر تتسلل إليها تدريجيًا .. لكنها قاومت .. بل كابرت وحاولت أن تنفيها عن نفسها .

وظلت طوال الليل تقاوم تفكيرها فى عذوبة كلماته .. وبريق عينيه الساحر وهو ينظر إليها .

عملت على إبعاد صورته عن عقلها وقلبها .. ولم ترد لنفسها الاعتراف بأنها أحبته .

فحب كهذا .. كان يتعارض مع المنطق والمبدأ الذى تؤمن به فى حياتها .

فالحب الخاطف السريع شىء لا وجود له إلا فى الروايات .. والحب من وجهة نظرها يحتاج إلى وقت كاف حتى يمكن إقراره والاعتراف به .

أيضًا .. كيف يمكنها أن تفكر فى الحب الآن وهى فى هذه المرحلة من حياتها ؟

وهى تستعد للزواج من ابن عمها .. تلك الزيجة الكى تنتظرها أسرة عمها منذ سنوات .

لكل هذه الأسباب كان يتعين عليها أن تنزع مثل هذه المشاعر وتلك الأفكار من عقلها وروحها .. وتكتفى من

هذا اللقاء الذى جمع بينها وبين (مجدى) بذكرى جميلة .. لم تدم سوى ساعات .

وظلت طوال الليل وساعات النهار تقنع نفسها بذلك .. وتطرد أية مشاعر أخرى تحاول أن تجتاحها بعيدًا عنها .

لكن سؤال (نورا) لها أيقظ هذه المشاعر مرة أخرى فى أعماقها .. وإن كان قد أكد لها .. أنها لن تستطيع أن تعبر عنها أبدًا .. خاصة وهى ترى صديقتها مدلهة فى حبه على هذا النحو .

سألتها (نورا) قائلة :

- (ندى) .. لماذا لا تجيبيننى ؟ من منا الذى يشرد الآن ؟

لم تجبها (ندى) بشىء .. بل رمقتها بنظرة تنم عن قلقها واضطراب مشاعرها .

بينما عادت (نورا) لتسألها قائلة :

- هل أنت غاضبة منى ؟

مسحت (ندى) بيدها على شعرها فى حنان يكشف عن عمق صداقتها وهى تبتسم ..

وتناولت (نوار) يدها بين يديها ، وهى تبادلها نفس المشاعر القوية التى تولدت فى هذه اللحظة قائلة لها :

ـ هل ترين ؟ ها هى ذى شجرتنا .. تعالى لنذهب إليها .

وتوجها معًا إلى شجرة كبيرة قريبة من البحر .. حيث وقفا أمامها وهما يتأملان الحرفين الأولين لاسميهما .. والذى حفراه معًا وهما صغيرتان بمبرد أظفار فوق جذعها .

وتناولت (نورا) من حقيبتها مبرد الأظفار وعادت لتمرر حده المدبب على الحرفين لتزيد من ظهورهما وبروزهما .

بينما تأملت (ندى) الحرفين « ن ، ن » وقد اجتمعا معًا داخل قلب واحد .

سألتها (نورا) قائلة :

ـ هل تذكرين اليوم الذى حفرنا فيه الحرفين الأولين من اسمينا ؟

أجابتها (ندى) قائلة وفى عينيها نظرة ساهمة وكأنها تستعيد ذكريات الماضى :

ـ كنا عائدين من المدرسة .. ووقفنا نلعب حول هذه الشجرة .. وحينما ابتعدت عنك قليلاً وجدتك تتعلقين بفروعها .

فخفق قلبى هلعًا عليك خوفًا من أن تسقطى على الأرض وتصابى ، مما دفعنى إلى أن أعبر الطريق العام باندفاع ودون حذر وأنا أصرخ بعد أن عجزت عن الهبوط إلى الأرض .

وكادت إحدى السيارات تدهمنى فى أثناء اندفاعى نحوك على هذا النحو .

ابتسمت (نورا) قائلة :

ـ يومها تلقفتنى بين يديك وأنا أقفز إلى الأرض خوفًا علىّ من أن أتعرض للإصابة .

ضحكت (ندى) قائلة :

ـ لكننا سقطنا معًا لأن ذراعىّ الصغيرتين لم تكونا لتقويان على حملك .

ضحكت (نورا) بدورها قائلة :

ـ وأصبنا معًا بخدوش فى أجزاء متفرقة من جسدينا .

أكملت (ندى) قائلة :

ـ بعدها جلسنا نبكى معًا .. ولم يكن بكاؤنا بسبب الخدوش التى أصابتنا فقط .. ولكن بسبب التأنيب الذى كان يتعين علينا أن نتلقاه من أهلينا حينما يروننا على هذا النحو .

- فى الحقيقة لقد كانت كل منا تبكى من أجل الأخرى ، فحينما رأيت ما تسببت لك فيه من جروح وخدوش ، ظللت أبكى بحرقة من أجلك دون أن أعبأ بما أصابنى أنا من جراح .

- وكذلك فعلت أنا الأخرى .. لكن لم نكد ننتهى من ذلك حتى عدنا للبكاء من أجل ما ينتظرنا لدى عودتنا إلى المنزل !

- لكن من الغريب أنك تجاهلت بعدها ما أصابنا ، واقترحت أن نحفر الحرفين الأولين من اسمينا داخل قلب ، وأن نسجل تاريخ هذه الواقعة على جذع الشجرة .

- نعم .. كنت أريد أن يظل شىء يذكرنا بتلك الحادثة .

وبرغم أننا كنا صغيرتى السن .. إلا أننى وجدت فيما حدث تعبيرًا قويًا عن مدى صداقتنا فى هذه المرحلة المبكرة من العمر .

وأردت شيئًا يخلد هذه الصداقة .. فطلبت أن نحفر الحرفين الأولين من اسمينا ، والذى نتحد فيه كما تتحد صداقتنا داخل قلب واحد .. كهذا الذى حفرناه على الشجرة .

- لحظتها تحمست تمامًا لاقتراحك .. وتناولت مبرد الأظفار الذى أخفيته عن أمى واحتفظت به فى حقيبتى وشرعت فى تنفيذ ذلك .

- وقمت أنا بتسجيل التاريخ .

- ومنذ هذا اليوم أصبحت هذه الشجرة هى شجرتنا .

- والأمينة على تخليد صداقتنا .

- (ندى) .. إننى لم أخف عنك شيئًا فى حياتى .. وعندما أتحدث إليك فكأنما أتحدث مع نفسى .. لذا أخبرتك بحقيقة هذه المشاعر التى اعترتنى نحو (مجدى) والتى لم أحسها من قبل نحو أى شخص آخر .

- وأنا لا أريد لهذه المشاعر أن تتسبب فى إيلامك يومًا ما .. فكلانا لم يتورط فى أية مشاعر من هذا النوع من قبل .. وشخص مثل (مجدى) هذا لابد أن له العديد من التجارب والعلاقات على نحو لا يجعلكما متكافئين .

- من المفترض دائمًا أن يكون الشاب أكثر خبرة وتجارب من الفتاة .

- أخشى أن يتلاعب مثله بعواطفك .

- لا أعتقد أن (مجدى) من هذا النوع .

واستطردت قائلة :

- (ندى) .. ألم تكونى تحلمين بالحب وتتمنينه ونحن نتحدث معًا منذ يومين فقط ؟ ألم تخبرينى أنه أجمل شىء فى الوجود ؟

ـ بلى .. لكن الحب لا يحمل فى طياته السعادة فقط .. بل يمكن أن يحمل التعاسة أيضًا ..

قالت لها (نورا) فى حيرة :

ـ إن ما تقولينه يقلقنى ويخيفنى .

ـ لا تخافى من شىء .. إذا كان هذا الشاب يبادلك مشاعرك نحوه .. فسوف يسعى وراء البحث عنك .

وإذا ما كان صادقًا فى حبه فلن يكون أمامه سوى خيار واحد وهو أن يثبت صدقه هذا ويطلب الزواج منك .

ـ لكنه لا يعرف شيئًا عن عنوانى أو رقم الهاتف .. فكيف سيعثر علىّ ؟

ـ هذا أمر بسيط .. لقد رافقنا فى هذه الرحلة .. وهو يعلم أننا من السويس ولابد أنه يستطيع أن يعرف اسم المدرسة .

ـ أما أنا فقد حصلت منه على عنوانه ورقم الهاتف الخاص به .. ويمكننى أن أتصل به إذا أردت ذلك .

ـ إياك أن تفعلى .. وإلا تصور أنك فتاة سهلة .

ـ لكن .. إذا لم يحاول الاتصال بى أو البحث عنى ؟

ـ فى هذه الحالة يتعين عليك أن تنسيه .. وأن تعرفى أن الأمر لم يكن سوى رفقة طريق وانتهت عند هذا الحد .

ـ لكنى أخبرتك ..

قاطعتها (ندى) قائلة :

ـ أنك تحبينه ؟.. أعلم ذلك .. لكن صدقينى لن يستمر هذا الحب وقتًا طويلاً .. وستنسينه مع مرور الوقت .

تنهدت (نورا) قائلة :

ـ ليت الأمور تكون بمثل هذه السهولة التى تتحدثين عنها .

ـ يمكن أن تكون كذلك لو لم نضعف أمام مشاعرنا .. وكانت لدينا الإرادة الكافية .

ـ استندت (نورا) بظهرها إلى جذع الشجرة قائلة :

ـ إننى أخشى أن ينتهى الأمر بى مثلك .. وأجد نفسى مضطرة إلى الزواج من شخص لا أحبه .

ـ إن الأمر بالنسبة لى مختلف .. فأنا مدينة لهذا الشخص وللآخرين بهذه الزيجة .. أما أنت فلست مدينة لأحد بشىء .

وأردفت قائلة : وهى تبتسم :

ـ ثم أين ما قلته لى من قبل ؟.. عن أن الحب قد يأتى بعد الزواج .. وأنه ليس شرطًا لقيام زواج ناجح .. هل نسيت ؟

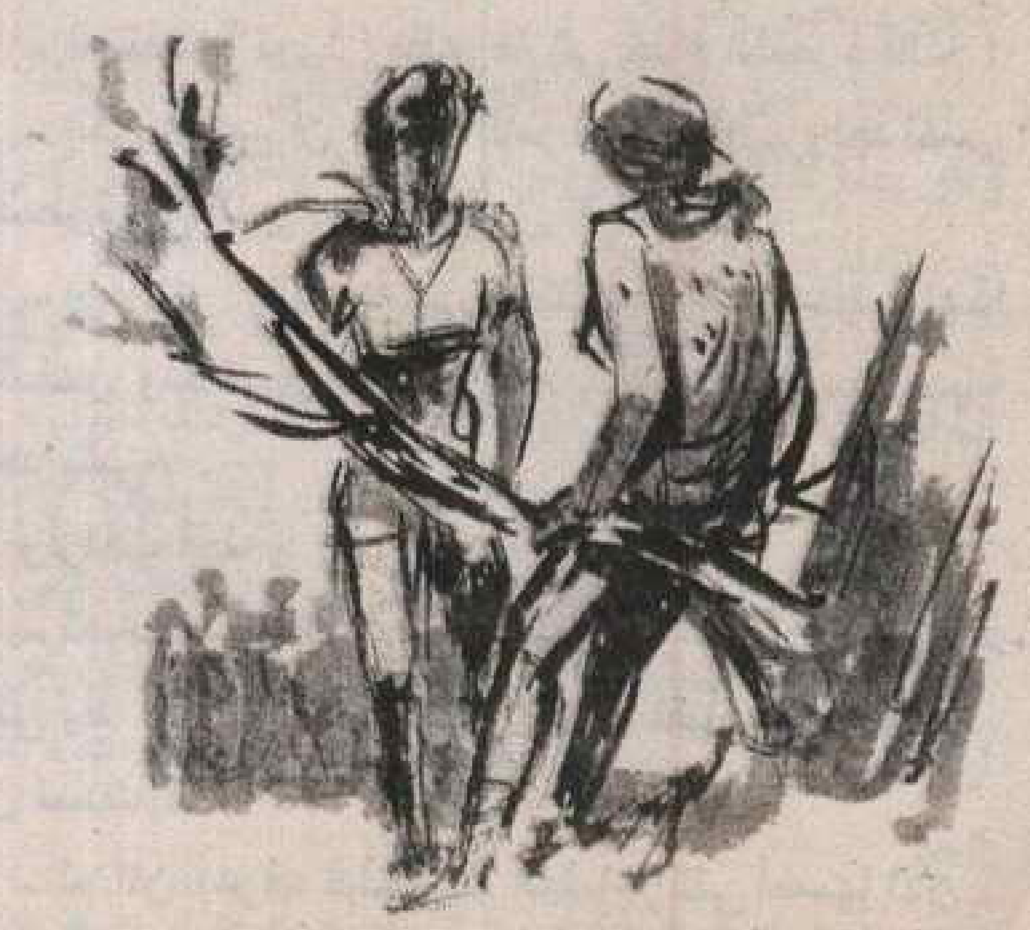
ـ لم أكن أعرف قبلها تلك المشاعر التى أحسها الآن .

وصمتت (ندى) وهى تستند بظهرها إلى جذع الشجرة أيضًا بجوار صديقتها .. فقد كانت تدرك جيدًا حقيقة مشاعرها ، لأنها كانت تشاركها إياها ..

وقالت لنفسها بحزن :

ـ ليت الأقدار لم تضع هذا الشخص فى طريقنا .. فقد كنا على أية حال سعيدتين بحياتنا الجافة من المشاعر التى تتنازعنا الآن .

* * *



٦ ـ عيناكِ تكذبانكِ ..

أنهت (ندى) حصصها المدرسية .. وذهبت إلى حجرة المدرسين لتجد (نورا) منهمكة فى إعداد الدرس القادم لتلميذاتها .

سألتها قائلة :

ـ ماذا تفعلين ؟

ـ أحضر للحصة القادمة .

ابتسمت (ندى) قائلة :

ـ آه .. لقد نسيت .. أن لديك اليوم حصتين إضافيتين .

قالت لها (نورا) متبرمة :

ـ نعم .. من سوء حظى .

ـ إذا أردت يمكننى أن آخذ حصة منهما .

ـ ليت هذا ممكن .. أنت تعرفين أن المديرة تتشدد بشأن أن تقوم كل مدرسة بتدريس حصصها .. ورأيت ماذا فعلت فى المرة السابقة عندما تطوعت لتأخذى إحدى حصصى .

ـ إذن .. فسأعود إلى المنزل بمفردى .

قالت (نورا) مداعبة :

- لا مفر من أن أحرمك من صحبتى الرائعة .
- اتصلى بى بمجرد عودتك .
هزت (نورا) رأسها قائلة :
- سأفعل .
- غادرت (ندى) المدرسة وهى تحمل حقيبتها .
وقد أخذت تلوح لبعض تلميذاتها ، وما إن ابتعدت قليلاً عن المدرسة حتى سمعت صوتًا يناديها باسمها .
التفتت وراءها بدهشة لترى (مجدى) أمامها .
اعتراها اضطراب شديد ، وتسمرت قدماها فى مكانهما وجعلتها المفاجأة عاجزة عن النطق .
اقترب منها ليواجهها بابتسامته الساحرة قائلاً :
- كيف حالك يا (ندى) ؟
قالت له متلعثمة :
- أستا ... أستاذ .. (مجدى) !
قال لها بصوته الهادئ الدافئ النبرات :
- (مجدى) فقط .. لقد اتفقنا على ذلك .. وأعتقد أننا قد أصبحنا أصدقاء منذ رحلة الفيوم .
سألته قائلة :
- كيف جئت إلى هنا ؟ أعنى ما الذى أتى بك ؟
قال لها بنفس النبرات الهادئة الدافئة :

- إن لى بعض الأعمال التى تستدعى حضورى إلى السويس والذهاب إلى الميناء .
لكن السبب الحقيقى فى حضورى اليوم هو أننى أردت أن أراك .
قالت له وهى تتراجع خطوتين إلى الوراء وقد ازدادت دهشتها :
- ترانى أنا ؟
أجابها قائلاً :
- نعم .. ولم تكن هذه هى المرة الوحيدة التى أتيت فيها إلى المدرسة بحثًا عنك ورغبة فى رؤيتك .
فقد أتيت مرتين من قبل .. وأسعدنى الحظ بأن أراك فى إحداهما .
وإن كنت قد عجزت عن التحدث إليك .
قالت له وقد ازداد اضطرابها :
- لكن .. لماذا ؟
- لأنك ظللت تشغلين تفكيرى طوال الأيام الماضية .. وحاولت جاهدًا أن أبعد صورتك عن ذهنى .. فلم أستطع .
قالت له وهى تحاول التغلب على ارتباكها :
- أعتقد أنه يتعين علىّ أن أنصرف الآن .

ـ هل تسمحين لى بأن أدعوك إلى مكان ما لنتحدث معًا ؟

ـ آسفة .. لا أستطيع ذلك .

ـ إذن .. هل تسمحين لى بأن أصاحبك فى سيرك ؟

ـ كلا ..!

ـ (ندى) .. أرجوك لا داعى لهذا الجفاء .. إن كل ما أرغب فيه هو التحدث إليك .

ـ إن السويس مدينة صغيرة .. ومصاحبتك لى فى السير قد تثير الأقاويل .

ـ إذن نتوقف قليلاً بالقرب من البحر لنتحدث معًا .

سألته قائلة :

ـ ما الذى تريد أن تحادثنى فيه ؟

ـ أشياء كثيرة .. أشياء لم أحسها ، ولم أدر معناها قبل أن أراك .

لقد حاولت التحدث إليك فى المرة السابقة عندما رأيتك أنت تغادرين المدرسة .. لكن وجود صديقتك معك منعنى من ذلك .

سارت (ندى) مضطربة وهو بجوارها .. وقد أحست بعجزها عن الكلام .. لكنها تغلبت على اضطرابها قائلة :

ـ لا أدرى .. ما الذى تهدف إليه من وراء كلماتك هذه .. لكن اعلم أنك قد خيبت آمالى .

تطلع إليها بدهشة قائلاً :

ـ خيبت آمالك ؟.. أنا ؟.. هل لأننى تصرفت كشاب مراهق وجئت لأنتظرك بجوار المدرسة ، أملاً فى أن أراك وأتحدث إليك ؟

ربما لم يكن هذا تصرفًا لائقًا .. لكن أعذرينى .. لم تكن أمامى وسيلة أخرى .

نظرت إليه قائلة :

ـ إننى أقصد أنك قد خيبت آمالى بما قلته .. وما تحاول أن تقوله لى الآن .

ـ إننى أكشف لك عن أحاسيسى نحوك .. ولا أقول لك سوى الصدق ، لقد عرفت فتيات كثيرات من قبل .. لكنك الفتاة الوحيدة التى أحدثت هذا الأثر فى نفسى .. وشغلت تفكيرى على هذا النحو .. وهذا يعنى بالنسبة لى الكثير .. فقد طال انتظارى لفتاة تحرك مشاعرى هكذا .. وظننت أننى لن ألقاها أبدًا .

توقفت عن السير وهى تصيح فيه بانفعال قائلة :

ـ أرجوك .. توقف عن هذا القول .

قال لها وفى صوته نبرة رجاء :

ـ لماذا ؟ أى جرم فى أن أعبر لك عن مشاعرى نحوك ؟

ـ إنك تحاول أن تتسلى بمشاعر الآخرين فحسب .

ـ أنت تظلميننى إذا كان هذا هو ما تظنينه فى .

ـ أرجوك ابتعد عنا .. أنت شاب ثرى وناجح فى عملك .. إذا كنت تبغى التسلية واللهو .. فستجد الكثيرات اللاتى يمكنك أن تلهو معهن .. لكنك لن تجد ما تبغيه هنا .

ـ مرة أخرى تظلميننى بحكمك الجائر على يا (ندى).. ولا أدرى .. لماذا تظنين فىّ هذا الظن .

لقد اعترفت لك بأننى عرفت الكثيرات من قبل .. لكننى لم أسع قط لخداعهن .. كنت دائمًا واضحًا وصريحًا معهن منذ بداية أية علاقة .. وكل منا كان عرف ما يريده من الآخر تمامًا .

نعم .. كانت علاقات قائمة على اللهو والتسلية .. لكننى كنت واضحًا وصريحًا منذ البداية مع من أعرفها لهذا الغرض دون لف أو دوران .. تمامًا كما أنا واضح وصريح معك .. وأنا أخبرك بأن مشاعرى نحوك تختلف تمامًا عن مشاعرى نحو أية فتاة أخرى عرفتها من قبل .

فأنت تختلفين عن الأخريات .. وأعرف جيدًا أنك فتاة جادة .. ولا يمكن أن أهدف من وراء علاقتى بك إلى اللهو والعبث .

حدجته بنظرة فاحصة قائلة :

ـ هل هذا هو ما حاولت أن تقنع به (نورا) أيضًا ؟

نظر إليها بدهشة قائلاً :

ـ (نورا) .. أؤكد لك أننى لم أقل لها شيئًا كهذا .

ـ أعرف أنك لم تقل لها مثل هذه العبارات التى تسردها على سمعى الآن ، لكن على الأقل حاولت أن توحى لها بذلك .. أظهرت لها من تصرفاتك وأفعالك ما جعلك تستأثر بمشاعرها .

ـ هل قالت لك ذلك ؟

لم تجبه ، لكنها استرسلت قائلة :

ـ عندما رأيتك اليوم ظننت أنك قد جئت من أجلها .. وأنك تحمل لها بعضًا من مشاعرها نحوك .

وقد أسعدنى هذا لأنه كان كفيلاً بأن يغير فكرتى عنك بأنك من النوع الذى يتلاعب بمشاعر الفتيات .. لكننى وجدتك تحاول أن تلعب نفس اللعبة معى .

ـ إننى لا ألعب أية ألعاب .. وليس ذنبى أن صديقتك قد فسرت كلماتى ومعاملتى اللطيفة لها تفسيرًا خاطئًا .

لقد أتيت إلى هنا من أجلك .. ومستعد أن أبتعد ولا آتى مرة أخرى إذا كنت تريدين ذلك .

أحست بالصدق فى كلماته ونظراته إليها .. لكن هذا لم يكن ليحل المشكلة ، بل يعقدها أكثر .

إن ما قاله لها الآن أكثر مما حلمت به .. لكن ماذا عن مشاعر (نورا) نحوه ؟ إن هذه هى الكلمات التى تمنت (نورا) أن تسمعها أيضًا .

قالت له بضعف :

ـ (مجدى) .. ماذا تريد منى ؟

ـ أن تمنحينا الفرصة لكى نتعارف أكثر .. ويقترب كل منا بمشاعره نحو الآخر .

واستدرك قائلاً :

ـ أعرف أن هذا قد يثير فى نفسك الشكوك .. وربما ظننت أننى أهدف من وراء ذلك إلى التسلية وتمضية الوقت معك كما قلت الآن .. لكن ....

قاطعته قائلة :

ـ آسفة .. ليس لدى وقت ولا استعداد لذلك .

قال لها بعصبية :

ـ حسن .. أتفضلين أن أقول لك إننى أرغب فى الزواج منك ؟

انفعلت قائلة :

ـ لا أريد منك سوى الابتعاد عن طريقى .

أطلق زفرة قصيرة قائلاً :

ـ حسن .. إذا كان هذا هو ما تريدينه .. فسوف أفعل .. ولن أعترض طريقك بعد اليوم .. ولكن مرة أخرى أريد أن تعرفى أننى كنت صادقًا وأمينًا فى كل ما قلته لك .

وأدار لها ظهره مبتعدًا .. وقد اعترتها الحيرة للحظة .

وسرعان ما نادته قائلة :

ـ انتظر .

التفت إليها وفى عينيه ذلك البريق الأخاذ الذى تشعر به يتسلل إلى قلبها .. وقالت له وفى عينيها نظرة اعتذار :

ـ آسفة .. إذا كنت قد أسأت الظن بك .

اقترب منها هامسًا :

ـ لست بحاجة إلى الأسف .. (ندى) .. إننى ...

لكنها قاطعته قائلة :

ـ (مجدى) .. هل أنا موضع تقدير بالنسبـة لك حقًا ؟

أجابها سريعًا :

ـ بل أحمل لك ما هو أكثر من ذلك .

ـ هذا يجعلنى أتجرأ وأطلب منك شيئًا .

ـ اطلبى ما تشائين .

ـ لقد طلبت منى منذ قليل أن نتعارف أكثر وأن نمنح مشاعرنا الفرصة لكى تتقارب .

وأنا أتمنى أن تفعل هذا الشىء مع (نورا) .

نظر إليها بدهشة قائلاً :

ـ (نورا) ؟

ـ نعم .

ـ لكننى لا أحمل أية مشاعر نحو (نورا) .

ـ لكنها تحمل الكثير من المشاعر نحوك .

ـ لكننى أؤكد لك أننى لم أحاول ...

قاطعته قائلة :

ـ أعرف .. وأثق فى أنك لم تسع للتلاعب بمشاعرها .. إننى واثقة من هذا الآن ولست بحاجة منك لتأكيده .

لكننى أعرف أيضًا أنها قد أحبتك .

إنك الرجل الوحيد الذى أحبتـه طوال الحياة التـى عشناها معًا ..

سألها قائلاً وهو يحدجها بنظرة فاحصة :

ـ وأنت .. ما هو شعورك نحوى ؟

لكنها تجاهلت سؤاله قائلة :

ـ حاول أن تفتح لها قلبك .. وأن تزداد تعرفًا بها .. وصدقنى أن (نورا) فتاة لا تعوض .

لكنه حاصرها بنظراته قائلاً :

ـ لم تجيبى عن سؤالى بعد .

قالت له منفعلة :

ـ (مجدى) .. لماذا لا تحاول أن تستمع إلىّ ؟

ـ لماذا لا تجيبين أنت عن سؤالى ؟

قالت له وهى تبعد نظراتها عنه :

ـ حسن .. إننى لا أحمل لك شعورًا ما .

قال لها وهو مازال يحاصرها بنظراته :

ـ عيناك تكذبانك ..

ـ بل خيالك هو الذى يصور لـك ذلك .. إذا أردت أن تلتقى بمن تحبك حقًا فيمكنـك أن تعـود لتنتظـر الآن بجوار المدرسة .. فسوف تغادرها (نورا) بعد نصف ساعة .

تلك الارتجافة التى أحستها من قبل لملامسة أصابعه .

وسألها قائلا :

- أتريدين منى أن أخدع صديقتك ؟

- ماذا تعنى ؟

- إننى لا أحبها .. بل أحبك أنت .

- لا يمكن أن تحكم على مشاعرك حكمًا صحيحًا من مجرد لقاء عابر .

- إن مشاعرى تقودنى إليك .

- وأنا أخبرتك بأننى لا أحمل لك أية عاطفة .

- أنا أعرف .. لماذا تقولين هذا ؟ إنك حريصة على مشاعر صديقتك .. وتظنين أنك لو كشفت عن شىء من مشاعرك فإنك تكونين بذلك قد خنت صداقتكما ..

ولكنى أعرف أنك تحملين لى مثل ما أحمله لك من عاطفة .. لقد رأيت ذلك وأحسسته ونحن معًا فى الفيوم .. كما أراه وأحسه الآن فى عينيك .

- لن أجرح مشاعر (نورا) .

- إنك لن تجرحيها فى شىء .. لأنه لا توجد بيننا علاقة عاطفية أصلًا .

- لكنها تحبك .

- وأنا لا أبادلها عاطفتها هذه .. ولا أظن أنك ترضين أن أتظاهر بحبها .. إن مشاعرها هذه ستنطوى مع مرور السنين ، وستجد من يبادلها الحب فى المستقبل على النحو الذى تتمناه .

لكن هذه الكلمات لم تقنعها .. فقالت له بلهجة حازمة :

- أيًا كانت مشاعرنا .. فسوف نتوقف هنا .

- أمازلت مصرة على رأيك ؟

- نعم .. وهناك شىء آخر يتعين عليك أن تعرفه .. إننى على وشك الزواج من ابن عمى خلال الأسابيع القادمة .

- لكن لا تحبينه .

قالت له بجفاء :

- وما أدراك أنت إذا كنت أحبه أم لا ؟ إذا كنت سأتزوجه فلابد أننى أحبه .

- حسن .. وأنا أتمنى لك السعادة من كل قلبى .

وانصرف دون أن تحاول أن توقفه هذه المرة .

لكنها أحست بأنه يأخذ قلبها معه .

وتمنت أن تصرخ وتناديه .. وأن تعترف له بحبها .

لكنها لـم تستطع أن تفعل .. فقد اختـارت أن تكـون هذه هى النهاية .. النهاية لحلم الحب السريع الـذى مر فى حياتها ذات يوم .

والذى وأدته حين ولادته دون أن تسمح له بأن يحيا وينمو .. ولم يكن لديها سوى العبرات تشيعه بها .

* * *



٧ ـ بلا أمل ..

اقترب منها ابن عمهـا وهـى واقفـة فـى الشـرفة ليهمس لها قائلاً :

ـ أخيـرًا .. وجدتك بمفـردك .. بـدون الكراسـات .. وبدون وجود الآخرين معنا .

اغتصبت ابتسامة قائلة :

ـ إنك لم تعد من السفر إلا منذ ثلاثة أيام فقط .. وكـان يتعين عليك أن تقضى وقتًا مع أحبائك وعمى وزوجة عمى الذين اشتاقوا لعودتك .

سألها قائلاً :

ـ هل هم وحدهم فقط الذين اشتاقوا لرؤيتى ؟

ـ وابنة عمك أيضًا اشتاقت لرؤيتك كثيرًا .. إذا كـان هذا ما تقصده .

ابتسم قائلاً :

ـ وزوجتى عما قريب .

تنهدت وهى تحدق فى الطريق الممتد أمامها .

فسألها قائلاً بقلق :

ـ (ندى) .. ماذا بك ؟

هزت رأسها فى شرود قائلة :

ـ لا .. لا شىء .

ـ بل أراك متغيرة منذ أن حضرت من السفر .. دائمًا شاردة ، وتبدين غير سعيدة .

ـ إننى مشغولة فقط بامتحانات التلميذات النصف سنوية .

حدجها بنظرة فاحصة قائلاً :

ـ لا أعتقد أن هذا هو السبب الحقيقى الذى يبدل حالتك هكذا .

ـ صدقنى .. ليس هناك سبب آخر .

ـ ألست سعيدة بعودتى ؟

ـ كيف تقول هذا ؟ إن عودتك تفرحنى بالطبع .

ـ أعنى .. أن تكونى قلقة بشأن اقتراب موعد زواجنا .

هزت كتفها قائلة :

ـ وما الذى يقلقنى ؟

ـ إننى أرى أنك غير متحمسة لهذا الأمر .

ـ كنت أود لو انتظرنا حتى نهاية العام الدراسى فقط .

ـ ألا ترين أننا قد انتظرنا بما فيه الكفاية ؟

ـ حسن .. إذا كانت هذه هى رغبتك .

ـ الأمر لا يتعلق برغبتى فقط .. بل يتعين أن تكون هذه هى رغبتك أيضًا .

ألديك اعتراض على الزواج منى ؟

ـ وما الذى يدعونى إلى الاعتراض ؟

ـ حسن .. مادام الأمر كذلك فلا أرى مبررًا للمزيد من التأخير .

وصمت برهة قبل أن يردف قائلاً :

ـ لقد انتظرت هذا اليوم طويلاً .. وحلم الزواج منك ، وأن نجتمع معًا تحت سقف واحد زوجًا وزوجة ، وليس مجرد أبناء عم ، هو الذى أعاننى على الانتظار وتحمل الغربة طوال السنين الماضية .

حدقت فى وجهه وهى صامتة .. قائلة لنفسها :

ـ كم أنت إنسان طيب ومخلص .. كيف يمكننى أن أخبرك بأننى لا أحبك ؟ وأننى لم أحلم مثلك بهذا الزواج الذى سيجمع بيننا قريبًا ؟

كيف يمكننى أن أخبرك بأن الأمر كان هينًا عندما لم يكن فى حياتى إنسان آخر .

إنسان أحببته على الرغم منى .. لكنى أبعدته عنى لأننى لم أرد أن تتألم صديقتى الوحيدة .

إن الأمر قد ازداد الآن صعوبة .. بعد أن تبين لى أن إبعاده عنى لم يمكننى من التغلب على مشاعرى نحوه .. ولا إبعاده عن تفكيرى .

وأفاقت من تساؤلاتها الداخلية على صوته وهو يقول لها :

ـ هل تريدين إضافة أى تعديل للشقة التى سنسكن بها ؟

ـ هه .. لا .. إنها مناسبة تمامًا .

ـ سنذهب معًا إلى محلات الموبيليا الأسبوع القادم لتختارى الأثاث الذى تريدينه .

ـ الأسبوع القادم ؟

ـ نعم .. فليس هناك ما يدعونا إلى التأخر أكثر من ذلك .

أحست (ندى) بشىء ثقيل يطبق على نفسها .. ولم تستطع مقاومة موجة الحزن التى اجتاحتها فى هذه اللحظة .

* * *

راقبت (ندى) صديقتها وهى تقبل عليها فى سعادة ومرح لم تعهدهما فيها من قبل ، حيث احتضنتها وأخذت تدور بها فى الحجرة بطريقة طفولية .

سألتها (ندى) قائلة :

ـ ماذا بك ؟ هل جننت ؟

أجابتها (نورا) قائلة :

ـ بل أكاد أطير فرحًا .. فأنا اليوم أشعر بسعادة لم أحسها من قبل .

ـ ترى ما هو سر سعادتك هذه ؟

قالت لها بتدلل :

ـ لا .. هذا سر أحتفظ به لنفسى .

قالت (ندى) معاتبة :

ـ حتى على صديقتك الوحيدة ؟

ـ قلت لك هذا سر لا أستطيع أن أبوح لك به .

ـ على كل حال .. إننى ألاحظ منذ عدة أيام أن هناك تغيرًا كبيرًا قد طرأ على حالتك .. وكنت أنتظر أن تخبرينى عن السر فى ذلك .. لكن يبدو أننى لم أعد موضع ثقتك كما كنت من قبل .

قالت (نورا) بلهجة جادة هذه المرة :

ـ كيف تقولين ذلك ؟

ـ أليس هذا هو ما تفعلينه ؟

ـ إننى من فرط سعادتى .. أحاول إخفاء هذا الأمر حتى عن نفسى ، وأخشى أن تتسرب هذه السعادة من بين يدى .

ـ هل هو سر كبير إلى هذه الدرجة ؟

ـ بل هو أهم أسرار حياتى .. (ندى) .. إننى غارقة فى الحب .

ـ هذا شىء قديم .. فأنا أعرف ذلك .. لقد تدلهت فى الحب منذ أن التقيت ذلك الشاب الذى تطوع بقيادة سيارة الرحلات .

ـ ما لا تعرفينه هو أننى التقيته ثلاث مرات .. وأصبحنا الآن أكثر تقاربًا .. لقد كشفت له عن حبى له ووجدت منه تجاوبًا كبيرًا .

واليوم تلاقينا .. وشعرت من كلماته معى أنه يحبنى .

نظرت إليها فى دهشة وقد اعترتها حالة من الاضطراب قائلة :

ـ التقيته .. كيف ؟ ومتى ؟

ـ فى الحقيقة لقد كنت أخشى غضبك .. لأننى لم أستطع أن أحافظ على وعدى لك .. ووجدتنى ذات يوم مندفعة للاتصال به هاتفيًا .

واستمرت الاتصالات الهاتفية بيننا .. ثم اتفقنا على أن نتقابل .

قابلته مرة فى القاهرة ومرتين فى السويس .. وفى كل مرة أكتشف أننى أزداد حبًا له .. وأنه هو فتى أحلامى .

قالت لها وهى تخفى توترها :

ـ هذا يفسر خروجك المبكر من المدرسة .. والتغيرات التى طرأت عليك فى الآونة الأخيرة .

لم أكن أظن أنك ستخفين على أمرًا كهذا .

ـ ذلك لأننى أعرف معارضتك لهذا الأمر .. وكنت ستلومينني على تصرفى واندفاعى فى الاتصال به .

ـ أنت تستحقين اللوم من أجل ذلك بالفعل .

ـ هل رأيت ؟ هذا برغم أنه يحمل لك تقديرًا كبيرًا وقد سألنى عنك فى كل مرة نلتقى أو نتحادث فيها هاتفيًا .

ـ سألك عنى أنا ؟

ـ نعم .. وقد أخبرته أنك ستتزوجين قريبًا من ابن عمك ، وأنه يمكنه أن يحضر حفل القران لو أراد .

قالت لها بعصبية :

ـ ومن سمح لك بأن تحدثيه فى شىء كهذا ؟.. أو تدعيه نيابة عنى ؟

نظرت إليها (نورا) بدهشة قائلة :

ـ (ندى) .. ماذا بك ؟ هذه أول مرة تحادثيننى فيها بمثل هذا الأسلوب .

قالت لها وهى مستمرة فى انفعالها :

ـ إذا كنت مدلهة فى حب ذلك الشاب فهذا شأنك .. لكنى لا أريد أن تخوضى فى أمورى الشخصية معه .

قالت لها (نورا) :

ـ على كل حال إننى آسفة لأننى فعلت ذلك .

قالت (ندى) وقد هدأت عصبيتها قليلاً :

ـ أنا التى يتعين عليها أن تتأسف .. إذ يبدو أننى قد بالغت فى انفعالى .

ـ أنا أعرف أنك غاضبة منى لأننى تصرفت على نحو ترفضينه فى سعيى للاتصال بـ (مجدى) واندفاعى وراء عاطفتى نحوه .

لكن صدقينى كان هذا أقوى منى .

وضعت يدها على كتف صديقتها قائلة بحنان :

ـ أعرف ذلك .

ـ (ندى) .. لقد كشفت لى الأيام الماضية أن ما صرحت لك به منذ البداية عن حبى لـ (مجدى) لم يكن مجرد نزوة أو انفعال عاطفى وقتى ، بل حب حقيقى .. وحب قوى .. أقوى مما تتصورين .

ومنذ أن التقيته وأنا لا أتمنى لنفسى شخصًا سواه .

إن (مجدى) هو الإنسان الوحيد الذى أحبه قلبى .. وحرك مشاعرى .

تأملتها (ندى) لبرهة من الوقت قائلة :

ـ المهم أن يكون هو الآخر قد أحبك .

تنهدت قائلة وقد اعترى صوتها نبرة من الحزن :

ـ هذا ما لا أستطيع أن أجزم به .

أحيانًا أظن أنه يحبنى بالفعل .. وأحيانًا أخرى أراه بعيدًا عنى تمامًا

لكنك قلت منذ لحظات إنك وجدت منه تجاوبًا كبيرًا وإنك قد شعرت من كلماته بأنه يبادلك الحب .

ـ نعم .. هذا عن اليوم .. لكن ماذا عن الغد ؟ أحيانًا أشعر بأنه إنسان متقلب .. تتغير تصرفاته وأقواله من يوم لآخر .. بل من ساعة لأخرى .

ـ ألم يصارحك بحبه ؟

ـ نعم .. لكن تصرفاته وكلماته توحى لى بذلك أحيانًا .

ـ ألا ترين أنه يعمل على الاحتفاظ بك دون أن يحمل نفسه أى التزام نحوك ؟.. وهذا لأنه يعرف أنك غارقة فى حبه .. وأنك قد أصبحت عاجزة عن الابتعاد عنه .

ـ إن هذاهو ما قد صرت عليه بالفعل .

- وماذا تأملين من علاقة كهذه ؟

- لا أعـرف .. أظن أنه يحبنى .. إن كلماتـه توحـى لى بذلك أحيانًا .

- ربما كنت تتوهميـن .. وما أسهل الكلمات التى يمكن أن تقال دون أن تصدر عن مشاعر حقيقية .

قالت لها وقد ضايقها هذا الحديث :

- أرأيت أننى لم أرغب فى الحديث معك عن هذا الأمر ، لأنك تحبطيننى دائمًا .

- إننى أحاول أن أبصرك بالطريق الذى تنوين السير فيه .. ربما لن تنالى من هذه العلاقة فى النهاية سوى الحزن والأسى .. فبقدر ما تكون العاطفة قوية ومشتعلة ، بقدر ما تكون عواقبها وخيمة وتحرق صاحبها إذا لم تجد تجاوبًا حقيقيًا ومخلصًا من الطرف الآخر .. وأنا أخشى عليك من هذه العواقب .

فضلاً عما يمكن أن يصيب سمعتك من جراء هذه العلاقة .. فأنت تعرفين أقاويل الناس .

- أعرف كل هذا .. لكنى أعرف أيضًا أننى لا أريد أن أفقده بأى حال من الأحوال .

- عليك أن توضحى الأمور معه .. لو كان يريد الحفاظ

عليك حقًا فليس أمامه سوى سبيل واحد .. وهو أن يتزوجك ويجعل هذا الارتباط رسميًا .

- لا أستطيع أن أطالبه بشىء كهذا الآن .

- لماذا ؟

- إننا لم نلتق سوى ثلاث أو أربع مرات .. وهذا الأمر يحتاج إلى وقت حتى يمكن إقراره .

- ألست واثقة من مشاعرك نحوه ؟

- كل الثقة .. لكن بالنسبة له .. أعتقد أنه بحاجة لبعض الوقت لكى يقرر أمرًا كهذا .. كما أننى لست واثقة من مشاعره نحوى .. وربما لو طالبته بهذا الآن لابتعد عنى تمامًا .

- لم أكن أدرى أنك قد أصبحت بكل هذا الضعف إزاءه .

- لو أحببتِ مثلى لتفهمتِ ذلك .

وجاءت كلمتها لتنكأ جرحها .. وتجدد آلامها .

نظرت إليها صامتة .. وهى تود أن تقول لها :

- إننى أتفهم تمامًا .. لأننى أحببت مثلك .. أحببت ذات الرجل الذى أحببته .

إنك إذا كنت تستطيعين أن تعبرى عن حبك ومشاعرك .. بل وتشكين آلامك ، فهذا ما لا أستطيعه أنا .

لأن قدرى هو أن أتنازل عن حبى .. وأن أخفى مشاعرى وجراح نفسى حتى عن أقرب المقربين إلىّ .

ربما يكون لك بعض الأمل فى أن تحظى بالرجل الذى أحببته .. أما أنا فلا أمل لى فى هذا الحب ..

* * *



٨ - اختارك قلبى ..

كانت فى طريقها إلى المدرسة عندما وجدته فى طريقها .

اضطربت قائلة :

- (مجدى) .

قال لها بصوته الدافئ :

- لم أستطع أن أبتعد أكثر من هذا .

قالت له بجفاء :

- من فضلك .. لا أريد أن أتأخر عن المدرسة .

- أرجوك .. لا تصدينى هذه المرة .. إننى لن أعطلك كثيرًا .. لكنى بحاجة للتحدث إليك .

- لقد أنهينا الحديث بيننا فى المرة السابقة .

- الحديث لم ينته .. ولا يمكنك أن تنهيه ببضع كلمات قليلة .. (ندى) .. إننى أحبك .

قالت له بانفعال :

- كفاك تمثيلاً وخداعًا .

- كفاك أنت سوء الظن هذا بى .

- وماذا عن (نورا) ؟ تلك الفتاة المسكينة التى

تلتقى بها وتخدعها بكلماتك المعسولة ، وأنت تعرف أنها تحبك .. ماذا عن استغلالك لحبها واحتفاظك بها رهينة لإرادتك .. أظننت أن بنات الناس لعبة بين يديك تتسلى بها وقتما تشاء ؟

- أولاً : أنا لم أسع وراء (نورا) .. هى التى اتصلت بى وألحّت فى طلب الالتقاء بى .

حاولت أن أفهمها فى البداية أننى لا أحمل لها مثل هذه المشاعر القوية التى تبثنى إياها .. لكنها لم تستطع أن تتفهم ذلك .. وكان من الصعب بالنسبة لى أن أوقف عاطفتها المندفعة نحوى .

- ثانيًا : أنت التى طلبت منى أن ألتقى بها وألا أصدم مشاعرها .. بل ألححت علىّ فى ذلك .

- ثالثًا : كنت قد أوصلتنى إلى مرحلة اليأس منك حينما أصررت على إبعادى عنك ، وأخبرتنى بأمر زواجك من ابن عمك .. وتركت (نورا) تندفع فى طريقى .

- وهكذا وجدت فيها وسيلة للنسيان .. ألم تفكر فى مشاعرها ؟

- إننى لم أخدعها فى شىء .. ولم أعدها بشىء .

- لكن تركتها تظن أنك ربما أحببتها .

- خيالها هو الذى صور لها ذلك .

وصمتت (ندى) برهة وهى فى حيرة من أمرها . بينما أطلت نظرة تتدفق بالعاطفة من عينيه .

وهمس لها قائلا :

- لا تقاومى قلبك .. وكفاك عنادًا .

قالت له فى ضعف :

- هل تتركنى لأذهب إلى المدرسة الآن ؟

- سأراكِ بعد انتهاء الدراسة .

- لا أستطيع ذلك .

- بل تستطيعين .. وسنتحدث معًا .

- ولكن (نورا) تصاحبنى دائمًا فى طريق العودة .

- إذن سألتقى بكِ بعد ساعتين من عودتك إلى المنزل فى كازينو (الأزهار) .. لابد أن نجلس معًا ونتحدث معًا .

لم تجبه بشىء .. بل واصلت طريقها إلى المدرسة وقلبها يخفق بشدة حتى أنها خشيت أن يسمع المارة صوت خفقاته .

وطوال اليوم الدراسى كانت ساهمة وشاردة عن الدروس التى تقدمها ، حتى أن الجميع قد لاحظوا ذلك بما فيهم (نورا) .

٧٠١ - ؛هد ، ٦٤١ / الصدقتان

كانت مشاعرها متضاربة ومضطربة .

لقد أحست بالصدق فى كلامه .. والعاطفة الحقيقية فى عينيه .

إنه يحبها بالفعل .. لا يمكن أن يكون إحساسها خاطئًا فى هذا الشأن .

إنه يحبها كما تحبه .. ولن يمكنها مقاومة تيار حبها الجارف نحوه أكثر من ذلك .

ولكن .. هل تخون صديقتها من أجل هذا الحب ؟ كيف يمكنها أن تفعل ذلك ؟

قالت لنفسها فى محاولة لتبرير رغبتها فى الاستسلام لهذا الحب :

ـ لكنه لا يحبها .

عادت لترد على نفسها قائلة :

ـ لكن هى تحبه .. وأنت تعرفين ذلك جيدًا .

وظلت تحاور نفسها قائلة :

ـ إنه حب من طرف واحد .. حب لا مستقبل له .

لماذا أحرم قلبى من حب تمنيته .. ومع شخص يبادلنى عاطفتى من أجل حب لن يكتب له النجاح ؟

ـ لن يكتب له النجاح لأنك تعترضين طريقه .. ولا تمنحينه الفرصة لكى ينجح .. فربما لو لم تكونى موجودة فى طريقهما ..

وطردت هذه الفكرة سريعًا من عقلها قائلة :

ـ كلا .. لا تحملى نفسك الذنب بأكثر من ذلك .

إن وجودك لم يكن ليغير شيئًا .. وأنت تعرفين ذلك .

* * *

ترددت طويلاً فى الذهاب إليه .. عندما تركته هذا الصباح كانت واثقة بأنها لن تلبى دعوته .

وحينما غادرت المدرسة أحست بأن شيئًا يلح عليها ويدعوها إلى الذهاب .

وظلت تتأرجح بين الرفض والقبول حتى اللحظات الأخيرة .. إلى أن وجدت قدماها تقودانها إلى ذلك الكازينو الذى واعدها للقائها فيه .

حينما رآها مقبلة نحوه انفرجت أساريره وهو ينهض لاستقبالها .. قائلاً :

ـ إننى سعيد لأنك قد جئتِ .

صافحته قائلة :

ـ لم أكن أنوى الحضور .

ـ كنت أعرف أنك ستأتين .

ـ هل أنت واثق من نفسك دائمًا هكذا ؟

ـ بل واثق من أن القدر الذى جمع بيننا لم يأت بهذا

اللقاء عفويًا .. وإن عاطفتى نحوك لها ما يقابلها فى قلبك .. ومن أجل هذا كنت أعلم أنك آتية لا محالة ..

ـ (مجدى) .. إننى ..

تأملها بابتسامة على وجهه وهو يقاطعها قائلاً :

ـ ما أجمل اسمى بين شفتيك .

ـ أرجوك دعنى أتحدث .

ـ لا تقولى شيئًا عن شعورك بالذنب نحو (نورا) .. وعن ضرورة التضحية بحبنا وأى أشياء من هذا القبيل .

أخبرينى فقط بما يحسه قلبك .. بمشاعرك نحوى .

لا تحرمينا من حبنا يا (ندى) .

ـ وماذا عن (نورا) ؟

ـ مرة أخرى !

ـ لا يمكننى أن أتجاهلها .. إنها جزء من حياتى .

ـ ما الذى تريدين منى أن أفعله ؟ أتظاهر بحبى لها ؟ أغذى خيالاتها عن مشاعر لا وجود لها ؟

ـ هذا أفضل من أن تتسبب فى تعاستها .

قال بانفعال :

ـ خطأ .. هذا الذى تقولينه خطأ كبير .

ـ هذا الخطأ تسببت فيه حينما سمحت لها بتلك

المقابلات والمحادثات الهاتفية .. لقد أسهمت بالفعل فى تغذية مشاعرها نحوك ولا يمكنك أن تعفى نفسك من مسئوليتك عن هذا .

ـ حسن .. أعترف بذلك .. برغم الدوافع التى شرحتها لك .. لكننى أعترف بخطئى .. والآن لست مستعدًا للاستمرار فى هذا الخطأ .. لقد آن الأوان لتصحيح كل شىء .

فالإنسانة التى أحببتها هى أنت .

والآن .. انظرى فى عينى وقولى لى : هل تحبيننى أم لا ؟

حاولت أن تقاوم وأن تتجنب نظراته .. لكنه أمسك بيديها وهو يواجهها قائلاً :

ـ قوليها لى .. لتفتحى فى وجهى أبواب السعادة .

قالت له دون وعى منها :

ـ نعم .. لا أستطيع أن أخفى مشاعرى أكثر من ذلك إننى أحبك .. ولا أدرى كيف انزلقت إلى هذا الحب دون وعى منى ؟

أحسست بهذا منذ أن جمعتنا معًا رحلة الفيوم .

فى البداية ظننته مجرد إعجاب أو إحساس عابر لن يستمر طويلاً .. لكننى لم أستطع أن أمنع نفسى عن التفكير فيك منذ هذه اللحظة .

حاولت أن أقاوم وأن أنسى .. لكن حينما التقيتك مرة أخرى أحسست بالخوف من أننى لن أستطيع المقاومة حتى النهاية .. ولن أقوى على النسيان .

وابتسمت فى مرارة وهى تستطرد قائلة :

ـ لم يكن لى يد فيما حدث .. ولم أكن أعرف أن الحب يأتى للإنسان بغتة هكذا .. ويتسلل إليه دون وعى منه .

لقد وجدتنى أحبك برغم كل المحاذير التى تقف أمام هذا الحب ..

تناول أصابعها بين أنامله فى حنان بالغ قائلاً :

ـ لن تكون هناك أية محاذير أخرى فى المستقبل أمام حبنا .

ولم أكن أحتاج سوى سماع هذه الكلمات منك .

أنا أيضًا حاولت التغلب على مشاعرى فى البداية .. فآخر ما كنت أظنه يحدث لى هو أن أحب .

وحتى لو كانت هذه الفكرة قد طرأت على تفكيرى .. فلم أكن أتصورها تحدث فى حياتى على هذا النحو .

كنت أظن أن هذا الحب المباغت .. والذى يحدث مثل هذا التأثير الكبير لا وجود له إلا فى خيال الروائيين .

وأنه لو قدر لى أن أرتبط بإنسانة ما فى يوم من

الأيام ارتباطًا جادًا .. فإن ذلك لن يحدث إلا وفقًا لمعايير مادية وواقعية .

لكن كل ما ظننته وقدرته تلاشى حينما التقيت بك .

كنت مختلفة فى كل شىء عن كل من عرفتهن من قبل .

ـ كان لقاؤنا فى ذلك اليوم بضع ساعات .. فكيف يمكن أن تبدل هذه الساعات الكثير من أفكارنا ومعتقداتنا ، وتحدث هذا الأثر فى نفوسنا ؟

فى هذه الساعات التى قضيتها معك اكتشفت كم أنتِ قريبة من نفسى وعقلى .

ـ هذا ما حدث لى تمامًا .

لكنها استدركت قائلة وفى عينيها نظرة حزن :

ـ لكنه لم يحدث لى وحدى .. لقد شاركتنى (نورا) فى ذلك .

ـ ليس لنا ذنب فى ذلك .. إنها تستحق أن تلتقى بشاب يبادلها مشاعرها .

ـ إن الكلام المنطقى لن يقنع إنسانة تحب .. فالحب لا يخضع لمنطق .

ـ أتريدين أن نضحى بحبنا إرضاء لصديقتك ؟

- لا أريد أن أتسبب فى إيلامها .. لا أريد أن تظن أننى قد خنتها .

- لم تفعلى ذلك .. إننا نضع الأمور فى نصابها الصحيح .. وأيًا كان الأمر فهذا أفضل من أن تخونى قلبك .

حاولت أن تقول شيئًا .. لكنه قاطعها قائلاً :

- (ندى) .. هل تتزوجيننى ؟

- حدقت فيه بدهشة قائلة :

- ماذا تقول ؟

أجابها قائلاً :

- ما سمعته .. مادمت قد عثرت على الفتاة التى طالما تمنيتها .. فلا داعى لإضاعة الوقت .. ومن المنطقى أن أطلب يدها للزواج .

قالت له وهى غير مصدقة :

- (مجدى) .. هل أنت واثق مما تقوله ؟

أجابها فى هدوء قائلاً :

- كل الثقة .

قالت له ومزيج من الدهشة والسعادة يملؤها :

- لكننى ظننتك قد قلت من قبل إن الزواج يحتاج إلى وقت للتعارف والتقارب .. ولا يأتى بمثل هذا الاندفاع .

- لقد تبين لى أننى لم أكن بحاجة لمثل هذا الوقت .. لقد تعرفك قلبى قبل أن أحادثك ، واختارك لكى تشاركينى حياتى .

قالت له وهى تحاول أن تتمالك نفسها من فرط انفعالها :

- هذا كلام لا يليق برجل أعمال مثلك .

تأملها قائلاً :

- صدقت .. إنه يليق بعاشق .. والذى يحادثك الآن عاشق مدله فى حبك .

وصمت برهة قبل أن يقول :

- فماذا قلت ؟

* * *



٩ ـ اذكرينى ..

كادت أن تقول له إنها لم تكن تحلم بأكثر من ذلك .. بل إنها أحست بأن طلبه الزواج منها كان أكبر من أحلامها .

وكادت أن تصرخ بالموافقة .

لكنها تذكرت ابن عمها .. وعمها .. والزواج الذى يتم الإعداد له وينتظر حدوثه خلال الأسابيع القادمة .

تذكرت مسئوليتها فى هذا الشأن .

كما تذكرت صديقتها وما يمكن أن يحدثه مثل هذا النبأ فى نفسها .. كانت هناك جدران صلبة تحول بينها وبين إعلان موافقتها على قبول هذا الزواج الذى تجاوز أحلامها .

ولم يكن من السهل عليها أن تقتلع هذه الجدران التى تعترض طريق حبها وآمالها .

قال لها وهو يقطع عليها صمتها :

ـ (ندى) .. لماذا لا تجيبين ؟

قالت له وهى تحاول التغلب على ما يعتمل فى نفسها :

ـ (مجدى) .. لقد فاجأتنى .

ـ لقد أردت أن أقطع عليك الشك باليقين .. أردت أن تعرفى أننى جاد فى مشاعرى نحوك .. وأن حبى لك صادق أمين .

كما أردت أن أحسم الأمر فيما بيننا .. وأفوت أى فرصة يمكن أن تعترض طريق حبنا .. وأن نتخلص سريعًا من أية محاذير نضعها فى اعتبارنا ..

ـ أعتقد أننى فى حاجة لبعض الوقت قبل أن أقرر الموافقة على ذلك .

ـ ألست واثقة من حبك لى ؟

ـ بلى .

ـ إذن فلماذا هذا التردد ؟

ـ لا أريد أن أبنى سعادتنا على آلام الآخرين .

ـ ولا أظن أنه من الإنصاف أن يسعد الآخرون على حساب آلامنا .. إنك مازلت تفكرين فى صديقتك .. أليس كذلك ؟

ـ صديقتى ؟.. وواجبى تجاه أسرة احتضنتنى وعوضتنى عن مرارة اليتم .. وإنسان بنى آماله وأحلامه على أن أكون زوجة له .

ـ تقصدين ابن عمك ؟

- نعم .. إن زواجى منك على هذا النحو سينطوى على الكثير من الأنانية وسيحمل فى طياته معانى تتعارض مع الإخلاص والوفاء .

- إن الأمر لن يكون على النحو الذى تحاولين أن تصوريه .. قد يتألم البعض لفترة .. ولكن مع مرور الوقت ستتبدل الأمور .

وسيجد ابن عمك الإنسانة التى تحبه ويحبها وتناسبه ويناسبها .. كما ستجد (نورا) أيضًا الإنسان الذى يبادلها الحب .. وسيعرف الجميع أنك قد اخترت القرار الصحيح .. ولم تسعى لخداع أحد ..

عليك أن تفكرى فى الأمور على هذا النحو .

- أنا مقتنعة بكل ما قلته .. لكنى مازلت بحاجة إلى وقت .. على الأقل لتهيئة نفسى والآخرين لمثل هذا القرار .

- حسن .. خذى الوقت الذى تحتاجين إليه .. لكنى أرجو ألا تظلمى قلبى وقلبك فى النهاية بالقرار الذى ستتخذينه .

* * *

مرت الأيام التالية كالحلم على (ندى) .. تعددت

لقاءاتها مع (مجدى) .. وتأكدت مشاعر كل منهما تجاه الآخر .

لقد وثقت بأن قلبها لم يخدعها حينما خفق لـ (مجدى) ، وأنه الحب الحقيقى والوحيد فى حياتها .

لكنها كانت تخشى أن يمر الحلم سريعًا .. وتنقضى سعادتها التى بدأت عندما تنجلى الحقيقة .. وتأتى لحظة المواجهة بينها وبين أقرب المقربين إليها .

حاولت أكثر من مرة أن تعجل بهذه المواجهة وتصارح (نورا) و (سعيد) بأمر حبها لـ (مجدى) .. لكن شجاعتها كانت تخونها دائمًا .

وظلت تتعلل لـ (مجدى) بأنها بحاجة إلى المزيد من الوقت والتفكير برغم إلحاحه عليها بسرعة البت فى أمر زواجهما .. لأنها لم تقو على التصريح بمشاعرها للآخرين .

وحرمها الخوف من جرح مشاعر الآخرين من حقها فى أن تسعد بحبها .

لكن كان لابد أن يأتى ذلك اليوم الذى تصبح فيه المواجهة والمصارحة حتمية .. ولا مفر منها .

كان (مجدى) قد أنهى أعماله فى ميناء السويس ، وتوجه إلى المدرسة يترقب مغادرة (ندى) لها .

وبالفعل رآها وهى تغادرها بصحبة (نورا) .. فعمد إلى لفت نظرها دون أن تلحظ صديقتها ذلك .. لكى تستأذن منها وتأتى للقائه .

وارتبكت (ندى) وهى لا تدرى أى عذر تتخذه لكى لا ترافقها فى طريقها إلى المنزل .

لكن قبل أن تفعل لمحت (سعيد) قادمًا نحوهما .. مما زاد الموقف حرجًا .

وقبل أن تقول أى شىء قالت لها (نورا) :

- أليس هذا هو (سعيد) ابن عمك ؟ ترى ما الذى أتى به إلى هنا ؟

قالت (ندى) بحيرة وارتباك :

- إنها المرة الأولى التى يأتى فيها إلى المدرسة .

واقترب منهما مصافحًا (ندى) وصديقتها .

سألته (ندى) قائلة :

- ما الذى أتى بك إلى هنا ؟

- أريد أن أتحدث معك قليلاً بعيدًا عن المنزل .

استأذنت (نورا) منهما قائلة :

- حسن .. سأذهب إلى المنزل بمفردى .

- آسف إذا كنت قد حرمتكما هذه الصحبة .

ابتسمت (نورا) وهى تمازحه قائلة :

- لا عليك .. لقد مللنا هذه الصحبة بما يكفى ..

ولوحت (نورا) لصديقتها وهى تغمز لها بطرف عينها قائلة :

- سأتصل بك ليلاً .

ما إن انصرفت صاحبتها حتى قال لها :

- هل يمكننا أن نجلس ونتحدث فى مكان هادئ ؟

- لكن ربما يقلق عمى وزوجة عمى لتأخرى .

- اطمئنى لن يقلق أحد .. فقد أخبرتهما أننى سألتقى بك وسنتناول غداءنا فى الخارج .

تلفتت ندى وراءها وهى تنظر إلى (مجدى) وفى عينيها نظرة اعتذار ، واضطر أن يتوارى وقد تسللت إليه مشاعر الغيرة لمصاحبة (ندى) لابن عمها .

لقد منى نفسه بساعة يقضيها معها .. قبل أن يعود إلى القاهرة لاستكمال أعماله هناك .. لكن هاهوذا قد حرم من تلك الساعة التى منى نفسه بها فضلاً عن ضيقه الشديد لهذا المشهد الذى رآه ..

جلسا حول إحدى الموائد فى الكافتيريا المطلة على البحر حيث بادرها (سعيد) قائلاً :

- أعتذر إذا كنت قد فاجأتك بلقائى هذا .. ولكن

وجدت أنه يتعين علينا أن نتحدث معًا فى مكان ما بعيدًا عن المنزل .

سألته قائلة :

ـ عن أى شىء تريد أن نتحدث يا (سعيد) ؟

ـ عن علاقتنا يا (ندى).. لقد كان موعدنا بالأمس لكى نذهب إلى محلات الأثاث لتختارى أثاث منزلنا .. لكنك أرجأت ذلك للمرة الثالثة .. ولم أعد أدرى السر وراء هذا التردد .. والتعلل بأعذار واهية لتأخير موعد زواجنا .

قالت له بصوف خافت :

ـ أعتقد أنه يتعين علينا أن ننتظر قليلاً :

قال لها وفى صوته نبرة اعتراض :

ـ أكثر من هذا ؟! لقد انتظرت بما فيه الكفاية يا (ندى) !

تأمل ملامح الحيرة فى وجهها وأزعجه صمتها .. فاستطرد قائلا :

ـ (ندى) .. إننى ابن عمك وبمثابة الصديق لك .. قبل أن أكون خطيبك ، فلا تخفى عنى شئًا .

هل أنت غير راغبة فى الزواج منى ؟

قالت له متلعثمة :

ـ (سعيد) .. إننى أعتز بصداقتك .. وأحمل لك الكثير من التقدير والإعزاز .. ولكن ..

أكمل ما عجزت عن قوله قائلاً :

ـ لكنك لا ترحبين بى زوجًا لك .. أليس كذلك ؟

لماذا انتظرت طويلاً حتى تصارحينى بذلك ؟

ـ لم أكن أريد أن أخيب آمالك وآمال عمى وزوجته بشأن زواجنا ..

(سعيد) .. إن أية فتاة تتمناك .

قال لها بيأس :

ـ أما أنا فلم أتمنَ فتاة أخرى .. سواك .

واستطرد قائلاً :

ـ ربما كان الخطأ خطئى .. لقد تعاملت معك طويلاً كأخ لك برغم ما أحمله بداخلى لك من حب .

لم أجسر على تجاوز المسافة التى تفصل بين مشاعرى الداخلية والعلاقة الخارجية التى تربطنى بك كابن عم لك اعتاد أن يرعاك كأخ .

وفى الحقيقة لم أكن قط من ذلك النوع من الرجال الذين يجيدون التعبير عن عواطفهم .. وانتقاء الكلمات التى تستهوى آذان الفتيات .

وقد فكرت وأنا مسافر فى تلك السنين التى جمعت بيننا تحت سقف هذا المنزل دون أن أسمعك كلمة حب واحدة .. بل أحيانًا كنت أتصرف بخشونة لأدارى عنك هذا الحب .. وكأننى سأكشف عن شىء يتعين على أن أخجل منه .

لقد نظرت إلى زواجنا فى البداية وكأنه أمر واقع تقرر حدوثه منذ أن كنا طفلين صغيرين .. لكن سرعان ما أصبح هذا الزواج هو أغلى أحلامى عندما كشفت لى سنوات الغربة عن مقدار الحب الذى أحمله لك .

وقررت أن أتغير .. وأن أحاول التعبير لك عن مشاعرى نحوك ، وأن أعبر المسافة التى تفصل بين مشاعرى الداخلية والمظاهر الخارجية التى اعتدت أن أتعامل بها معك .

عدت إليك محملاً بالأحلام والآمال العريضة .. متلهفًا إلى تعويض الماضى والتعبير عن حبى الصامت .

عدت ولدى رغبة قوية فى أن أجعلك أسعد زوجة فى الدنيا ، بقدر ما تسمح لى الظروف بذلك .

وقال وقد ازدادت نبرة اليأس فى صوته :

ـ لكن ها هى ذى أحلامى وآمالى قد تراجعت .. إزاء الحقيقة التى صارحتنى بها الآن .

قالت له بأسى :

ـ (سعيد) إنك تؤلمنى بكلامك هذا .. إننى أقدر مشاعرك كثيرًا .. ولم يكن خافيًا عنى حبك الصامت لى .. كما لم يكن خافيًا عنى نبلك ورجولتك وأنت تحيطنى برعايتك وحمايتك كأخ وصديق ، قبل أن تكون ابن عمى .

ومن أجل كل هذا .. من أجل إعزازى وتقديرى لك لا أستطيع أن أخدعك .. إن العواطف والأحاسيس أمور لا نملكها فى أيدينا .. وإحساسى نحوك لا يزيد عن إحساس الأخت تجاه أخيها .

قال لها وهو يحاول التعلق بالأمل :

ـ ربما كان هذا بسبب الظروف التى جمعت بيننا والطريقة التى تعاملنا بها معًا من قبل .. ربما لو منحنا نفسينا الفرصة للتعامل بأسلوب مختلف وتجاوزنا تلك الأحاسيس الأخوية ...

قاطعته قائلة :

ـ لا أعتقد أننا سننجح فى ذلك .

سألها :

ـ هل هناك شخص آخر ؟

خفضت بصرها قائلة :

- نعم .
سألها قائلاً :
- منذ متى وأنت تعرفينه ؟
- منذ ثلاثة أسابيع تقريبًا .

صمت برهة وقد تنازعته مشاعر شتى .. أحست (ندى) خلالها أن تلك الفترة القصيرة ثقيلة وخانقة .. وهى تنتظر رد فعله .

قال لها وصوته يكشف عن آلامه :
- هل يمكنك أن تروى لى ظروف علاقتك به ؟

صمتت بدورها دون أن تجيبه ، وهى لا تدرى إذا كان من الأفضل بالنسبة لها أن تخفى تفاصيل هذه العلاقة عنه ، أم ترويها له .

لكنه أمسك بيدها محاولاً إشاعة الطمأنينة فى نفسها وهو يقول لها :
- لا تخشى شيئًا .. إننى مازلت فى النهاية ابن عمك الذى يحرص على حمايتك ورعايتك .. وأخاف أن تكونى قد أحببت شخصًا لا يستحقك .. فارو لى تفاصيل هذه العلاقة كما كنت تفعلين فى الماضى كلما أردت أن تستشيرينى فى أمور تخصك .. ولتلجئى لى كصديق .

وروت له (ندى) كل شىء عن العلاقة التى جمعت بينها وبين (مجدى) ، وإحساسها بالذنب تجاه صديقتها ، بعد أن علمت بأنها تحبه بدورها .. ومدى تعلقها بـ (مجدى) وتفتح قلبها له .

وقالت له فى النهاية :
- هذه هى قصتى .. لم أخف عنك شيئًا منها .
صمت برهة قبل أن يقول :
- إننى أقدر موقفك .. وأدرك حجم الصراع الذى يعتمل فى نفسك ، لكن تأجيل القرار لن يحسم الأمر .
مادمت تحبينه فعليك أن توضحى الأمور لصديقتك كما فعلت معى الآن .
قالت له وملامح الخوف فى عينيها :
- ستكرهنى من أجل ذلك .
نظر إليها وفى عينيه عاطفة دافقة قائلاً :
- لا يمكن لأحد أن يكرهك يا (ندى) .
- ألست ناقمًا علىّ ؟
- ربما أشعر بالحزن لأننى فقدتك .. لكننى لست ناقمًا عليك .
- ربما تكون قد فقدت الزوجة .. لكنك لم تفقد الأخت والصديقة .

خفض رأسه قائلاً :

- هذا ما أحاول أن أقنع نفسى به .

- إذن فلن يؤثر ما قلته لك الآن على علاقتنا .

اغتصب ابتسامة باهتة على وجهه قائلاً :

- أعدك بذلك .

ثم أردف قائلاً :

- المهم الآن .. أن تكونى مستعدة لإطلاع (نورا) على كل شىء .. وأظن أنها ستفهم فى النهاية .

- وماذا عن عمى وزوجة عمى ؟

قال لها مطمئنًا :

- دعيهما لى .. أنا سأعرف كيف أجعلهما يتقبلان ذلك .. المهم ألاتخبريهما بشىء الآن .. وسوف أتولى ذلك عنك فى الوقت المناسب قبل سفرى .

تطلعت إليه قائلة :

- سفرك ؟.. هل تنوى أن تسافر مرة أخرى ؟

قال لها بمرارة برغم الابتسامة الباهتة على وجهه :

- نعم .. لم يعد باقيًا لى هنا ما يستدعى بقائى .

وتناول يدها بين يديه وهو يربت عليها بحنان قائلاً :

- أتمنى لك السعادة من كل قلبى .. وأتمنى أن يكون ذلك الشخص الذى اخترته يستحقك بالفعل ..

كما أريد أن تتأكدى أنك ستجدينني دائمًا لو احتجت إلى ، حتى وأنا بعيد عن هنا .. يكفى أن ترسلى لى لو احتجت إلى وجودى فأحضر إليك فى الحال .

أريد منك أن تتذكرى هذا دائمًا يا ابنة عمى الحبيبة .

* * *

١٠ ـ من أجل صداقتنا ..

تأملت (ندى) وجه صديقتها وملامحها الحزينة قائلة :

ـ (نورا) .. ماذا بك ؟ إنك تبدين فى حالة سيئة للغاية .

سألتها (نورا) قائلة :

ـ (ندى) .. أين كنتِ بالأمس ؟

ـ ماذا تعنين ؟

ـ أنا التى أسألك .. لماذا انصرفت من المدرسة مبكرًا ؟ وأين ذهبتِ ؟

قالت (ندى) بارتباك :

ـ (نورا) .. إننى ...

لكنها قاطعتها قائلة :

ـ فى البداية ظننت أن الحجج المختلفة التى تسوقينها لكى تغادرى المنزل بمفردك سببها أنك تلتقين بـ (سعيد) بعيدًا عن جو المنزل ، ولم أحاول أن ألح عليك فى معرفة ذلك .

لكن بالأمس .. وبالأمس فقط تبين لى أنك تلتقين بـ (مجدى) .

قالت (ندى) وقد ازداد ارتباكها :

ـ (نورا) .. أرجوك حاولى أن تفهمى ..

لكنها استمرت فى مقاطعتها وهى ثائرة قائلة :

ـ لسوء حظك أننى انصرفت فى إثرك .. ولمحتك بالصدفة وأنتِ تلتقين به .. وتذهبين معه إلى كازينو الأزهار .. وهناك سألت وعرفت .

عرفت أنها ليست المرة الأولى وأنك قد جئت معه إلى هذا المكان أكثر من مرة .

عرفت السر وراء تغير (مجدى) نحوى وقطع صلته بى ، وإصراره على عدم الالتقاء بى مرة أخرى .

عرفت حجم الخيانة والخديعة التى خدعتنى بها .. وليتنى ما عرفت .

وانتحبت قائلة من خلال عبراتها :

ـ أنتِ .. أنتِ يا (ندى) التى تخوننى .. صديقة عمرى ؟.. ومع من ؟.. مع الشخص الوحيد الذى أحببته !! كيف أمكنك أن تفعلى هذا ؟!

انسابت العبرات على وجنتى (ندى) بدورها ، فى حين استمرت (نورا) فى التعبير عن صدمتها قائلة :

ـ استغللت ثقتى بك .. وإيمانى بإخلاصك لتطعنينى فى ظهرى .

قالت (ندى) وهى تغالب عبراتها :

- أقسم لك إن الأمر لم يكن على هذا النحو الذى تصورينه .. وإننى كنت فى سبيلى لكى أشرح لك كل شىء .

قالت لها بسخرية تمتزج بالمرارة :

- تشرحين لى .. تشرحين لى ماذا ؟ تشرحين لى أننى وثقت بك وأطلعتك على أدق أسرارى .. وعلى مشاعرى نحو (مجدى) ، فاستغللت كل هذا لصالحك .. وأخذت تعملين من وراء ظهرى للاستحواذ عليه وإبعاده عنى .. من أجل أن يكون لك وحدك .

وأنا - لفرط غبائى - صدقت خوفك وقلقك علىّ الذى تظاهرت به أمامى ، وأنتِ تطالبيننى بالابتعاد عنه .. وتضعين المحاذير أمامى ، بينما أنتِ تفعلين ذلك .. من أجل الفوز به .

مارستِ لعبتك معى بكل خسة ونذالة .. تظاهرت بالصداقة والإخلاص .. وأنتِ فى الحقيقة حية رقطاء لا تفهم معنى الصداقة ، ولا تعى معنى الإخلاص .

- لم أكن أظن أننى سأسمع منك هذه الكلمات أبدًا .. ولكنى أقدر موقفك .. وعدم فهمك لحقيقة الأمر .

- وأنا لم أكن أظن أنه سيأتى اليوم الذى أكتشف فيه

خيانتك لى ، والحقيقة واضحة وضوح الشمس ولا تحتاج إلى فهم أو تفسير .

منذ متى وأنت تلتقين به ؟ منذ أن عدنا من الفيوم ؟ أم بعد ذلك بأيام ؟ أو ربما عملت على توثيق صلتك به فى أثناء الرحلة .

- (نـورا) .. اسمعينى جيدًا .. إننى لم أسع لكى ألتقى به ، ولم أحاول إبعاده عنك كما تقولين .

لم يدر بخلدى مطلقًا أن أخدعك أو أخونك كما تتهميننى .

لا أنكر أننى أحببته مثلك .. وهذا شىء ليس بيدى ولا بيدك ولا بيد مخلوق .. فالقلوب ملك خالقها .. وليس لأحدنا سلطان على مشاعره ، لكنى قاومت هذا الحب واحتفظت به لنفسى دون أن أصرح به .. خاصة عندما اكتشفت أنكِ قد أحببته أيضًا ، وتبينت أنكِ تشاركيننى نفس المشاعر نحوه .

فى البداية ظننته شابًا عابثًا مستهترًا يتلاعب بمشاعر الفتيات .. ويستغل وسامته وبراعته فى إيقاعهن فى حبائله .

لذا طلبت منكِ الابتعاد عنه .. وعدم الاستسلام لعاطفتك نحوه ، وكذلك فعلت أنا .

لكن ذات يوم وجدته يعترض طريقى ويخبرنى بأنه يبادلنى نفس المشاعر والأحاسيس .. وطلب منى أن أتيح له الفرصة لكى يعبر لى عن عاطفته نحوى .

لكنى رفضت ذلك .. وعملت على إبعاده عنى بكل الوسائل ، برغم ما أكنه له من حب حقيقى .. وكان دافعى لذلك هو حرصى عليكِ .. وتقديرى لمشاعرك نحوه .

وأقسم لكِ إننى قاومت كثيرًا .. وبذلت أقصى ما أستطيع لأنزع هذا الحب من قلبى .. وأبعد (مجدى) عن حياتى .

عقدت (نورا) ذراعيها أمام صدرها قائلة بسخرية :

ـ ثم عجزت فى النهاية عن المقاومة .. ووجدت نفسك تستسلمين ، أليس كذلك ؟

يا لها من قصة مؤثرة .. لكنها غير مقنعة على الإطلاق ..

ـ إننى لم أكذب عليك طوال حياتى .

ـ حتى لو كان ما تقولينه صحيحًا .. حتى لو أنك قد بذلت الجهد .. وقاومت فإن هذا لا يعفيك من المسئولية .. لأنك أخفيت عنى الأمر كله منذ البداية .. وربما لو لم أكن قد رأيتك معه فى ذلك الكازينو لما عرفت شيئًا ..

واستمررت فى استغفالك لى .

ـ لقد كنت أنوى أن أخبرك بكل شىء اليوم .. برغم أنك لن تصدقينى .

ـ بالطبع .. لا أصدقك .. وبالطبع فإنك ستقولين هذا .. ولماذا اليوم ؟ لماذا لم يحدث هذا من قبل ؟

ـ حتى الأمس لم أكن قد قررت أن أحدد مصير علاقتى بـ (مجدى) .. كنت مازلت مشتتة بين عاطفتى نحوه وصداقتى لك .. وكان يتعين على أن أحسم الأمر مع نفسى ومع (مجدى) .

واليوم فقط وصلت إلى قرار .. لقد طلب (مجدى) أن يتزوجنى .. وقد قررت أن أوافق على مطلبه .

نظرت إليها (نورا) بذهول يمتزج بالأسى قائلة :

ـ يتزوجك ؟!

خفضت (ندى) رأسها قائلة :

ـ نعم .

خيم عليهما صمت ثقيل لبرهة من الوقت .. ثم اندفعت (نورا) لتصفق قائل بهستيرية :

ـ أهنئك .. لقد أجدت تنفيذ اللعبة .. استدرجته ليحبك .. ثم عملت على إبعاده عنى ليخلو لك الجو ، وبعد ذلك دفعته لكى يطلب الزواج منك .. وجئت فى النهاية

لتتكرمى على وتخبرينى بأمر هذا الزواج ، ثم تعتذرين لى بأنك قد قاومت .. وكان الأمر أقوى وأكبر من استطاعتك .

يا لى من ساذجة !.. لقد عرفتك سنوات طويلة .. لكننى لم أكتشف قط أنك بكل هذا الخبث وهذه البراعة .

- إننى لم أتخذ هذا القرار إلا بعد أن تأكدت من أن ما فعلته لا ينطوى على أية خيانة لك .

قالت لها بسخرية :

- هكذا ؟.. إذن .. فماذا تكون الخيانة ؟

- انظرى إلى حقيقة الأمر .. إن كلينا أحبه .. لكنه لم يحب إلا إحدانا .. وأى مستقبل لك مع شخص لا يبادلك الحب ، ولا يفكر فى الارتباط بك ؟ لو رفضت طلبه الزواج منى ، فإن ذلك لم يكن ليغير شيئا فى عاطفته نحوك .. فما الفائدة التى كانت ستعود عليك من التفريق بين قلبين متحابين ، طالما أن ذلك لن يحول قلبه نحوك ؟

لو كان قد تبين لى أن ابتعادى عنه .. ورفضى له سيجعل مشاعره تتحول إليك لفعلت ذلك مهما كانت مشاعرى نحوه .. لكنى أيقنت أن هذا لن يغير من الأمر شيئا .

صاحت (نورا) قائلة :

- كاذبة !.. كان يمكن لـ (مجدى) أن يحبنى لو لم تعترضى طريقنا .. وتعملى على استدراجه لحبك .. وكان يمكن أن تكون أنا التى يطلب يدها للزواج الآن ، لولا تلك اللقاءات السرية التى دبرت لها .

قالت لها (ندى) :

- (نورا) .. أنا لم أسع وراء (مجدى) .. ولم أعترض طريقكما عندما اتصلت به والتقيت معه منذ البداية .

قالت لها متهكمة :

- من يدرى .. متى بدأت لعبتك ؟

انفعلت (ندى) قائلة :

- توقفى عن محادثتى بهذا الأسلوب .. فما حدث لم يكن من قبيل اللعب أو الخداع .

أجهشت (نورا) بالبكاء قائلة :

- كيف أمكنك أن تفعلى هذا بى ؟.. كيف طاوعك قلبك على أن تحرمينى من الإنسان الوحيد الذى أحببته ؟

نظرت إليها (ندى) بعطف واقتربت منها لتمسك بكتفها قائلة :

- (نورا) .. أرجوك لا تبكى .. لا تجعلينى أشعر بالذنب هكذا .

قالت لها فى انكسار من خلال عبراتها :

- كيف هانت عليك صداقتنا ؟

شاركتها (ندى) البكاء مرة أخرى وهى تمسح على شعرها قائلة :

- لا يمكن أن تهون صداقتنا أبدًا .. ولو كان الأمر بيدى ..

قالت لها وفى صوتها نبرة توسل :

- بيدك .. نعم .. بيدك .. مهما كنت تحبينه فلن تحبيه مثلى .. أرجوك ، أتوسل إليك باسم صداقتنا .. والسنوات الطويلة التى جمعت بيننا وألفت بيننا .. دعيه لى .. لا توافقى على هذا الزواج .

ابتعدت (ندى) وهى تدير لها ظهرها قائلة :

- إن ما تطلبينه كثير .. كثير .

تشبثت بها قائلة :

- لو أردت أن تبرهنى على صداقتنا حقًا .. ابتعدى عن (مجدى) .. لا تتسببى فى حرمانى منه .

استدارت لتنظر إليها وهى تقاوم عبراتها قائلة :

- إن ابتعادى عنه لن يحقق لك شيئًا .. لن يجعلك تحصلين على حبه .

قالت لها وهى تزداد توسلاً :

- سأجعله يحبنى لو ابتعدت عن منافستى .. سأعرف كيف أجعله يحبنى كما أحبه .

- وأنا ؟.. ألا تعنيك مشاعرى فى شىء ؟

- أنا لم أسع لاختطافه منك .. وكل ما أطلبه هو أن أحصل على فرصة مساوية لك .

- وأنا أيضًا لم أسع لاختطافه .. ولم أعمد إلى خداعه أو خداعك .. إن كل جرمى هو أننى فتاة أحبت .. و (مجدى) هو أيضًا الإنسان الوحيد الذى أحببته وأحبنى .

- أرجوك يا (ندى) .. أتوسل إليك لا تكونى السبب فى حرمانى ممن أحببت .

انسابت الدموع على وجنتها وهى تقول لها :

- أرجوك أنت .. لا تفعلى هذا بى .

احتضنتها (نورا) قائلة :

- إنك صديقتى التى شاركتنى آمالى وأحلامى ، فلا تكونى سببًا فى تحطيمهما .

تنازعت (ندى) مشاعر شتى فى هذه اللحظة .. وأحست بأن نفسها تتمزق ما بين حبها وصداقتها لـ (نورا) .

ولم تدر إلا وهى تضمها إليها قائلة :

- لا تبكى يا (نورا) .. ولا تتوسلى .. سأبتعد عن (مجدى) .. سأبتعد عنه من أجلك .

* * *

١١ - لأننى أحبك ..

سألت ابن عمها قائلة :

- متى تنوى أن تسافر ؟

أجابها قائلاً :

- الأسبوع القادم .

- (سعيد) .. أمازلت راغبًا فى الزواج منى ؟

نظر إليها بدهشة قائلاً :

- ماذا تعنين بذلك ؟

- أرجوك أجب عن سؤالى .

- هذا ما كنت أتمناه دائمًا وأنت تعرفين ذلك .. لكن بعدما أخبرتنى به .

قالت له والألم يعتصرها :

- وإذا طلبت منك أن تنسى ما أخبرتك به ؟

سألها فى حيرة قائلاً :

- لا أفهم .. ماذا تقصدين ؟

- إننى لن أتزوج من (مجدى) .

- لكنك تحبينه .

- لقد انتهى هذا الحب بالنسبة لى .

- ألم يكن مخلصًا فيما قاله لك ؟

- بالعكس .. لقد أظهر إخلاصًا حقيقيًا .

- إذن .. لماذا تريدين ؟

وتوقف عن متابعة سؤاله وهو يستدرك قائلاً :

- فهمت .. هل تحدثت مع (نورا) فى هذا الأمر ؟

- (سعيد) .. أرجوك .. لا تسألنى عن شىء ولا تحاول أن تخوض فى هذا الأمر .. إذا كنت قد غيرت رأيك بشأن رغبتك فى الزواج منى .. فانس ما قلته الآن .

وهمت بمغادرة الحجرة .. لكنه أمسك بذراعها ليستوقفها قائلاً :

- انتظرى .. هل تعنين ذلك حقًا ؟

- نعم .. على أن تصحبنى بعيدًا عن هنا .. أريد أن نسافر معًا إلى حيث تعمل .

- تريدين الهروب .

- نعم .. أريد أن أهرب من كل شىء .

- وهل تظنين أن سفرك معى سيجعلك تهربين من مشاعرك ؟

- سأحاول .

وبقى صامتًا وهو ينظر إليها ، بينما كانت تحاول تجنب نظراته .

وأخيرًا قالت له :

ـ أعتقد أنك لم تعد راغبًا فى الزواج منى بعد ما سمعته ، وأظن أن لك الحق فى ذلك .

استوقفها قائلا :

ـ بل أريد أن أتأكد أن هذه هى رغبتك أيضًا بالفعل .

قالت له من خلال العبرات المختنقة فى عينيها :

ـ ما دمت قد طلبت منك ذلك .. إذن فهى رغبتى .

ـ ألن تندمى على ذلك ؟

ـ إذا أردت أن تتزوجنى.. فافعل ذلك الآن .. ولا تسألنى عن شىء ، وإلا فإنه لن يحدث أبدًا .

قال لها بصوت يتدفق عاطفة وهو يمد لها يده :

ـ لم أكن لأحلم بأكثر من ذلك .

* * *

وقف يترقب مغادرتها للمدرسة بصبر بالغ .

لقد انشغل عنها أسبوعين فى أعماله المتعددة فى القاهرة .. وانتظر منها أن تتصل به .. لكنها لم تفعل .

وهاهوذا قد جاء إلى السويس منذ أسبوعين ، حاول خلالهما أن يعثر عليها خلال انصرافها أو عودتها للمدرسة .. وحاول أن يلمحها فى منزلها ، كما سأل عنها الجرسون فى الكازينو الذى اعتادا أن يلتقيا فيه ، دون أن يعثر لها على أثر .

حاول أن يسأل (نورا) عنها .. لكنه خشى من عواقب ذلك .. ومن أن يلفت ذلك الأنظار ويسىء إلى العلاقة بينها وبين صديقتها لو تبينت مدى اهتمامه بها .

كان فى انتظار قرارها بشأن زواجهما .. ذلك القرار الذى تأجل طويلاً .

وقد جاء إلى السويس ليحسم هذا الأمر .. خاصة أنه بدأ يعد نفسه لترتيبات الزواج بالفعل .

لكن اختفاءها المفاجئ على هذا النحو أثار قلقه .

وقرر أن يخاطر بالتوجه إلى المدرسة ، وسؤال أى من زميلاتها أو حتى المديرة أو البحث عنها بنفسه .. فلم يعد يحتمل الانتظار والقلق أكثر من ذلك .

وبينما هو يتأهب لتنفيذ ذلك شعر بيد تربت على كتفه .

استدار سريعًا ليرى (نورا) أمامه .. فهتف قائلاً :

ـ (نورا) !

سألته قائلة :

ـ ما الذى أتى بك إلى هنا ؟

واستطردت قائلة :

ـ بالطبع لم تأت من أجل أن ترانى .

حاول أن يتكلم .. لكنها قاطعته قائلة :

ـ مع الأسف إن من جئت من أجلها لن يمكنك مقابلتها .

سألها فى دهشة قائلاً :

ـ ماذا تعنين ؟

قالت له وفى صوتها نبرة شماتة :

ـ لقد غادرت (ندى) السويس .. غادرتها بعد أن تزوجت .

هتف قائلاً وهو غير مصدق :

ـ تزوجت !

قالت له فى تشفٍّ :

ـ ألم تعرف ذلك ؟ يبدو أن الأخبار تصلك متأخرة .. نعم تزوجت ابن عمها .. ورحلت معه إلى السعودية .

ظل صامتًا لبرهة من الوقت وقد هزته الصدمة .. ثم ما لبث أن قال فى انفعال :

ـ متى ؟ وكيف حدث ذلك ؟

ـ منذ ثلاثة أسابيع .. لقد تم كل شىء سريعًا وباستعجال حتى تتمكن من السفر معه .

قال لها وهو ما زال تحت وقع الصدمة :

ـ لكن .. هذا مستحيل .

قالت له لتزيد من إيلامه :

ـ لماذا ؟ إنهما متحابان منذ الصغر .. وكانا تقريبًا فى حكم المخطوبين .

لقد كانت تنتظر عودته لكى يتزوجا ويرحلا معًا .

ـ لا يمكن أن أصدق ذلك .

ـ تستطيع أن تسأل وتتأكد .

قال لها وهو يرتجف من شدة الانفعال :

ـ لكن .. لكن ..

قاطعته قائلة :

ـ لكن .. ماذا ؟ هل أوحت إليك أنها تحبك ؟ وأنها مستعدة للتخلى عن ابن عمها من أجل الزواج منك ؟ وهل صدقت ذلك ؟

لقد كنت واهمًا يا (مجدى) .

إن (ندى) لم تحبك قط .. الوحيدة التى أحبتك وأخلصت لك هى أنا .. أنا التى بعتها وأبعدتها عنك من أجل فتاة لا تستحقك .

قال لها بانفعال :

ـ كفى .. كفى !.. لا أريد أن أسمع منك شيئًا .

ـ بل يجب أن تسمع لى .. يجب أن تفيق من أوهامك .

واستطردت قائلة وهى تمسك بذراعه :

- يجب أن تنساها وتنزعها من حياتك .. (مجدى)
إننى ما زلت أحبك .. ومازلت مخلصة لحبى لك برغم
كل ما فعلته معى .

لكنه كان تائهًا عنها وهو يردد فى ذهول :

- كيف أمكنها أن تفعل ذلك بى ؟

ألحت عليه (نورا) قائلة :

- انسها .. سأساعدك على أن تنساها .. فقط عليك
أن تفتح لى قلبك .

نظر إليها قائلاً :

- أنساها ؟.. لايمكن أن أنساها .. إنها الإنسانة الوحيدة
التى أحببتها .

قالت له :

- لكنها لم تكن وفية لحبك لها .

صاح فيها قائلاً :

- اصمتى !.. أنت تعرفين أن هذا كذب .. وأنها قد
فعلت هذا من أجلك أنت .

قالت له بانفعال مماثل :

- لا تحاول أن تلبسها ثوب التضحية والفداء .

قال لها باستهجان :

- يا لك من صديقة ! إنك تعرفين جيدًا كما أعرف ..

أنها لم تكن لتوافق على الزواج من ابن عمها والرحيل
معه لولا صداقتها لك .. وحرصها على مشاعرك :

كان كل شىء بيننا يمكن أن يسير فى مساره
الصحيح لولا وجودك فى حياتنا .

نعم لقد ضحت (ندى) بحبنا من أجل صداقتها لك ،
ومع ذلك فإن هذه التضحية لا تلقى منك أى تقدير ..
وبدلاً من الاعتراف بقيمة تضحيتها تحاولين الإساءة
إليها .

اغرورقت عيناها بالعبرات وقد اعتراها الإحساس
بالذنب وهى تحاول الاعتذار قائلة :

- (مجدى) .. إننى ..

لكنه قاطعها قائلاً بحدة :

- اغربى عن وجهى .. ابتعدى عنى .

* * *

مرت الشهور الثلاثة الأولى من زواجهما و (سعيد)
يحاول التقرب إلى زوجته دون جدوى .

لقد أدرك منذ اللحظة الأولى أن زواجهما لم يكن
قائمًا على حب حقيقى .. وأنه حينما ارتضت (ندى)
الزواج منه فإن شيئًا فى مشاعرها لم يتغير نحوه ..
مشاعر الأخت تجاه أخيها .

كان واثقًا بأن (ندى) تسعى إلى الهرب من حبها لـ (مجدى) بإقدامها على هذا الزواج .. ومع ذلك فقد شاركها الإقدام عليه على أمل أن ينجح فى تغيير هذه المشاعر وجعلها تحبه يومًا ما .

ولأنه لم يرغب فى أن تضيع منه ، بعد أن أصبح حلمه بأن تكون زوجته قريبًا إلى هذا الحد .

لكن الشهور التى مضت كشفت له .. أنه كان مخطئًا .. وظلت الهوة التى تفصل بينهما قائمة لم ينجح فى أن يجعلها تجتازها .. برغم كل المحاولات التى بذلها .

كانت (ندى) تقوم بواجباتها كزوجة على أكمل وجه .. ووفقًا لما يمليه عليها التزامها كزوجة .. لكن ظل الحب مفقودًا بينهما .. وهو ما كان يحتاج إليه (سعيد) ويأمله منها .

وظل هذا الحب المفقود مصدر تعاسته .. وشقائه .

وذات يوم استرخى على الأريكة فى إحدى حجرات منزله بالسعودية .. وناداها .

وعندما حضرت إليه سألها قائلاً :

ـ ماذا تفعلين ؟

ـ أعد لك الطعام .

ابتسم لها قائلاً :

ـ دعك من الطعام .. وتعالى لتجلسى بجانبى هنا .

قالت له :

ـ لكنك لم تتناول عشاءك بعد .. وأنت مرهق طوال اليوم من التعب .

ـ ليست لى رغبة فى الأكل الآن .. فقط اجلسى بجوارى .

جلست بجواره وهى متحفظة قليلاً فى جلستها .. فسألها قائلاً :

ـ لماذا أنت جالسة بعيدًا هكذا ؟ اقتربى منى .

اقتربت وهى ما زالت محتفظة بتحفظها .. فأمسك بيدها قائلاً :

ـ إن يدك باردة .

قالت له :

ـ هذا بسبب غسيلى لبعض الأوانى فى المطبخ .

ـ ليست يدك وحدها هى الباردة .. لكننى أشعر ببرودة عواطفك نحوى أيضًا .

ـ اعذرنى يا (سعيد) إننى .. ربما لم أمنحك ما تستحقه من حب .. لكن ..

قاطعها (سعيد) قائلاً :

- أعرف يا حبيبتى .. أعرف أنكِ لم تستطيعى أن تحبينى .. وأعرف أيضًا أن هذا لم يكن بيدك .. كما أعترف بأن زواجنا كان خطأ منذ البداية .. ولكننى أقدمت عليه من فرط حبى لك .. وعلى أمل أن تتغير مشاعرك نحوى بعد الزواج .

نظرت إليه وفى عينيها الإحساس بالندم قائلة :

- سامحنى يا (سعيد) .. فلم أستطع أن أسعدك .. ولم أكن لك الزوجة التى تستحقها .

ابتسم لها فى حنان قائلاً :

- لا يا (ندى) .. لقد أسعدتنى طوال الأشهر التى مضت بوجودك إلى جوارى ، كما أنك كنت نعم الزوجة ، ولا يمكن أن ألومك لأنك لم تستطيعى أن تحبينى .

لقد حافظت على كرامتى كزوج لك ولم تفعلى ما يخدش هذا الزواج .. لكنك لم تحبينى ، ولن يمكنك أن تحبينى ؛ لأنك لا تملكين زمام قلبك .. وقلبك لم يتخلص من حبه للشخص الذى اختاره بعد .

انسابت العبرات على وجنتها وهى تردد قائلة :

- سامحنى يا (سعيد) ..

مسح العبرات التى تساقطت من عينيها قائلاً :

- على أى شىء أسامحك يا (ندى) .. على أنك

أحببتِ .. ومتى كان الحب ذنبًا ؟ إن الذنب هو ذنبى ؛ لأننى لم أساعدك بالقدر الكافى .

لكن آن الأوان لتصحيح كل شىء .. (ندى) .. إننى سأطلقك غدًا .

- تطلقنى .

قال لها بهدوء :

- نعم .. سأمنحك حريتك .. وسنعود معًا إلى مصر .. وهذه المرة لا أريد أن تتخلى عمن أحببت .

- لا أعرف .. ماذا أقول لك ؟

- لا تقولى شيئًا .. سأعود كما كنت ابن عمك الذى يقدرك ويرعاك ، وأخاك الذى لن يتخلى عنك .. لقد دبرت كل شىء .

أعرف أنك قد تشعرين بحرج من عودتك إلى السويس الآن .. وأننى سأكون بحاجة لبعض الوقت لكى أجعل والدىّ يتفهمان حقيقة الأمور .

ولدى شقة فى القاهرة لا أحتاج إليها الآن .. لذا ستقيمين فيها بصفة مؤقتة ، كما سأقرضك بعض المال لتدبرى أمورك لحين عودتك إلى العمل ، سواء فى السويس أو القاهرة .

وسأظل أساندك حتى تنالى ما تتمنين .

اغرورقت عيناها بالعبرات من فرط الامتنان وهى تقول له :

- (سعيد) .. إنك أعظم إنسان عرفته فى حياتى .

ابتسم قائلا :

- دعك من هذا الآن .. وهيا قومى لتعدى لنا العشاء .

ثم تلاشت ابتسامته وهو يقول بصوت خافت :

- فربما كان هذا عشاءنا الأخير معًا كزوجين .

وعندما غادرت الغرفة لم تلحظ العبرات التى انسابت من عينيه .

* * *



١٢ - صديقتان إلى الأبد ..

كانت (ندى) عائدة من فورها إلى منزلها الجديد فى القاهرة عندما رأته يقف فى انتظارها .

تسمرت فى مكانها للحظة وهى تردد اسمه قائلة :

- (مجدى) !

وارتسمت على وجهه ابتسامة عريضة وهو ينظر إليها .

بينما عادت لتهتف باسمه وهى تركض نحوه وقد علت الفرحة وجهها قائلة :

- (مجدى) .

أمسك بيديها فى سعادة عارمة قائلاً :

- لا أستطيع أن أعبر لك عن فرحتى لأننى لقيتك من جديد .

لقد افتقدتك كثيرًا يا (ندى) .

قالت له وهى مستسلمة لاندفاعها العاطفى :

- وأنا أيضًا يا (مجدى) .. ولكن كيف عرفت طريقى ؟

- لن تصدقى من أخبرنى بمكانك .. إنه (سعيد) .

- يا له من رجل !.. إن (سعيد) أنبل إنسان عرفته فى حياتى .

- لقد روى لى كل شىء .. لماذا فعلت ذلك يا (ندى) ؟

- لم يكن من السهل علىّ أن أحطم آمال وأحلام (نورا) .

- إن ما فعلته لم يحقق أحلام ولا آمال أحد منا .. بل تسبب فى شقائنا جميعًا .. على كل حال لقد انتهى هذا الأمر .. وكما قال سعيد علينا ألا نتنازل عن حبنا الآن .. لقد أضعنا الكثير من الوقت ولن أضيع المزيد .. لقد عذبنى كثيرًا فراقك لى .. لكنى لن أجعلك تفارقيننى بعد الآن .

تشبثت بيده قائلة :

- وأنا أيضًا لا أريد أن أفارقك بعد الآن .

- إذن سآتى إلى منزلك الليلة ومعى والدتى .. وسأحضر معى الشبكة .. وغدًا أو بعد غد نعقد قراننا .

قالت له وهى غير مصدقة :

- بهذه السرعة ؟

- قلت لكِ إننى غير مستعد لإضاعة المزيد من الوقت .. انتظرينى هذه الليلة يا حبيبتى .

نظرت إليه بعينين تتدفقان حبًا قائلة :

- سأكون فى انتظارك يا حبيبى .

ووقفت تراقبه وهو يستقل سيارته ملوحة له وهى ما زالت غير مصدقة أن أحلامها يمكن أن تتحقق بمثل هذه السرعة .

وعلى مسافة ثلاثة أمتار كانت (نورا) واقفة تراقب هذا المشهد وقد بدت ملامحها متوترة للغاية .

بعد قليل سمعت (ندى) طرقات على باب شقتها .

وفتحت الباب لتفاجأ برؤيتها أمامها .. هتفت قائلة :

- (نورا) .

قالت لها (نورا) وهى تحاول إخفاء انفعالاتها :

- حمدًا لله على سلامتك يا (ندى) .

- كيف علمت بأمر عودتى ؟

- لقد التقيت بـ (سعيد) فى السويس .. وعندما علمت منه أنك قد عدت وأنك تعيشين الآن فى القاهرة طلبت منه عنوانك لآتى لتحيتك .. مادمت لم تسعى أنت لذلك .. هل يمكننى أن أدخل ؟

أفسحت لها (ندى) الطريق قائلة :

- بالطبع .. تفضلى .

- لقد سمعت بأمر انفصالك عن (سعيد) ولا أدرى هل أواسيك بشأن ذلك أم أهنئك ؟

ـ كان زواجنا خاطئًا منذ البداية .
ـ وهاهوذا (مجدى) قد أسرع ليلقاك لتصحيح هذا الخطأ .. أليس كذلك ؟
ـ كيف عرفت أننى التقيت بـ (مجدى) ؟
ـ لقد رأيتكما وأنتما تتحدثان معًا ، بينما أنا فى طريقى إلى منزلك .
قالت لها (ندى) بلهجة حازمة :
ـ إننا سنتزوج يا (نورا) .
قالت لها باستسلام :
ـ أهنئك .. لقد فزت به أخيرًا .
ـ أرجو أن تقدرى موقفى هذه المرة .
اغرورقت عيناها بالعبرات قائلة :
ـ لقد فشلت فى أن أجعله يحبنى .
أحاطت (ندى) كتفها بذراعها قائلة :
ـ لو كنت قد عدت ووجدت أنكِ قد حصلت منه على الحب الذى تتمنينه ، فتأكدى أننى كنت سأتمنى لك السعادة ، وأبتعد تمامًا عن طريقكما .
انتحبت (نورا) قائلة :
ـ لكنى ما زلت أحبه .
ـ وأنا لم أستطع أن أحب سواه .. ومن المؤسف أننا

أحببنا ذات الرجل ، لكنه اختار إحدانا ، وعلى الأخرى أن تتمنى لها السعادة .. فمازلنا صديقتين متحابتين .. وقد ضحيت فى البداية من أجل سعادتك .. لكن تضحيتى لم تأت لك بشىء .. وعليك الآن أن تتقبلى الأمر بصدر رحب وأن تتمنى لى السعادة .
سألتها (نورا) قائلة :
ـ هل تسمحين لى بكوب ماء ؟
أحضرت لها (ندى) كوب الماء قائلة :
ـ سأعد لك فنجان الشاى الذى كنت تفضلين دائمًا أن تتناوليه من يدى .
انتظرت (نورا) حتى انصرفت (ندى) لإعداد كوب الشاى ، وأخرجت من حقيبتها علبة دواء بها عدد من الأقراص ، حيث تناولت كل الكمية الموجودة بها وأفرغتها مرة واحدة فى جوفها لتتجرع بعدها كوب الماء .
واسترخت فوق أحد المقاعد حيث أحضرت لها (ندى) الشاى .. وجلست لتتناوله معها .
قالت لها (نورا) :
ـ هل تعرفين ؟.. لقد افتقدتك كثيرًا يا (ندى) خلال فترة غيابك ، فأنا لم أعتد ابتعادك عنى هكذا .

ـ وأنا أيضًا افتقدتك كثيرًا يا (نورا) .
ـ لقد زرت شجرتنا بالأمس .. واستعدت ذكرياتنا الجميلة معًا .
وبدأت تشعر بتأثير الأقراص على صورة تقلصات شديدة فى أمعائها .. لكنها حاولت التغلب على آلامها قائلة :
ـ ليتنا لم نعرف الحب .. ليتنا ظللنا أطفالاً واحتفظنا بقلبين بريئين ، لا يخفقان لرؤية رجل يمكنه أن يفرق بيننا .
ـ لن يفرق شىء بيننا يا (نورا) .
سألتها (نورا) قائلة :
ـ ولا الموت ؟
قالت (ندى) وهى قلقة لهذا التعبير المرتسم على وجهها :
ـ لماذا تتحدثين عن الموت هكذا ؟
تقلصت ملامحها وقد أصبحت الآلام فى أمعائها لا تطاق قائلة :
ـ إننى أموت يا (ندى) !
اندفعت (ندى) نحوها قائلة فى جنون :
ـ ماذا تقولين ؟ (نورا) ماذا بك ؟

ونظرت إلى حقيبتها المفتوحة وعلبة الأقراص الفارغة وهى تتمنى ألا يكون ذلك حقيقيًا :
ـ هل .. هل ..؟
تشبثت (نورا) بيدها قائلة :
ـ إننا مازلنا صديقتين .. أليس كذلك ؟
صاحت (ندى) فى هستيريا قائلة :
ـ (نورا) .. ماذا فعلت بنفسك ؟
ألقت (نورا) برأسها على صدر صديقتها قائلة :
ـ سامحينى يا (ندى) .
ثم ما لبثت أن غابت عن الوعى .

* * *

بذل الطبيب الذى أحضرته (ندى) جهدًا فائقًا لإنقاذها من الموت وإفراغ ما فى أمعائها من أقراص .
وما لبث أن استدار إلى (ندى) قائلاً :
ـ لقد اتصلت بى فى الوقت المناسب .. فقد كان بين صديقتك والموت دقائق قليلة .
ـ وهل شفيت الآن ؟
ـ نعم .. لقد تم إنقاذها بأعجوبة .. لكنها بحاجة إلى الراحة التامة وبعض الرعاية من ناحية الأكل والدواء .. فهل يمكنك القيام بذلك ؟

ـ نعم .
وقام بكتابة (روشتة) تحتوى على بعض الأدوية ليقدمها لها قائلا :
ـ إذن أحضرى لها هذا الدواء .. وعليك أن تطبقى التعليمات التى سأقولها لك بشأن مواعيد تقديمه ..
ـ سأفعل ما تقوله لى .
وقبل أن ينصرف الطبيب تطلع إليها قائلاً :
ـ لقد كنت فى حالة يرثى لها ، حتى أننى ظننت أننى سأضطر لعلاجك أنت الأخرى من فرط قلقك على صديقتك .
لابد أنك تحملين لها الكثير من الإعزاز .
قالت له (ندى) وهى تتأمل وجه (نورا) :
ـ إنها صديقتى الوحيدة .

* * *

قامت ندى بتقديم الدواء لصديقتها حينما سمعت صوت رنين جرس الباب ، فأغلقت عليها الحجرة وذهبت لتفتح .
ووجدت أمامها (مجدى) ووالدته .. الذى ابتسم قائلا :
ـ هاهى ذى الإنسانة التى سلبت قلب ابنك الوحيد .
ابتسمت الأم وهى تسلم عليها قائلة :

ـ ماذا فعلت بـ (مجدى) .. إنه لم يتوقف لحظة واحدة طوال النهار عن الحديث عنك .
دعتهما (ندى) إلى الداخل حيث قامت بضيافتهما .
وبعد قليل أخرج (مجدى) علبة من القطيفة ليفتحها قائلاً :
ـ هل تعجبك هذه الشبكة ؟
نظرت (ندى) إلى الحلى الذهبية فى صمت .. دون أن تبدى أى انفعال .
فسألها قائلاً :
ـ إذا لم تكونى راضية عنها .. فسوف آخذك معى لتنتقى الشبكة التى تختارينها .
قالت له (ندى) بنبرات حزينة :
ـ (مجدى) .. أنا آسفة .. لن يمكننى الاقتران بك .
نظر إليها فى ذهول قائلاً :
ـ (ندى) .. ماذا تقولين ؟
ـ أقول إننى لن أستطيع الاقتران بك .
ـ ما الذى حدث ؟ لقد اتفقنا على كل شىء اليوم .
ـ لكنى لم أعد مستعدة لتنفيذ هذا الاتفاق .
سألتها أمه قائلة :

ـ مـاذا حـدث يا بنيتى ؟.. لقد ظننـت أن الأمـور قد تحددت بينكما ، وأنكما متفقان على كل شىء .

ـ آسفة .. لقد راجعت نفسى ووجدت أننى لن أستطيع الموافقة على هذه الزيجة .

صاح قائلاً :

ـ ما سـر هذا التغيير ؟ قولى لـى ؟ مـا السـر وراء ذلك ؟

قالت له فى برود :

ـ ليست هناك أيـة أسرار .. فقط لا أريد أن أتزوج منك .. ألست حرة فى اختيارى ؟

ـ لم يكن هذا هو كلامك معى فى الصباح .

ـ حسن .. إننى فتاة متقلبـة ، ويمكننى أن أرجع فى المساء عما قلته فى الصباح .

قالت له أمه وهى تنهض :

ـ هيـا بنـا يا بنى .. أعتقد أنك قد أسأت الاختيار بالفعل .

لكنه رفض أن يصدق ما يراه قائلاً :

ـ انتظرى يا أمى .. لابد أن هنـاك شيئًا قد حدث .. لابد أن هناك أمرًا ما وراء هذا التغيير .

قالت له (ندى) فى جفاء :

ـ اسمع كـلام والدتك .. وعد معها إلى المنزل .. فهذا أفضل لك من الإلحاح المستمر فى معرفة شىء هو من شأنى وحدى .

جذبته أمه من ذراعه قائلة :

ـ قلت لك .. هيا بنا .

لكن فى تلك اللحظـة فُتح بـاب الحجـرة المجـاورة وسمعوا صوتًا واهنًا يقول :

ـ انتظر يا (مجدى) لا ترحل .. ولا تصدق ما تقوله لك .

اندفعت (ندى) نحوها فى لهفة قائلة :

ـ لماذا غادرت فراشك ؟

بينما نظر (مجدى) إليها فى دهشة قائلاً :

ـ (نورا) ..؟

لم تأبه (نورا) لتحذيرات صديقتها .. بل تقدمت إلى الردهة وهى تجر قدميها قائلة :

ـ إن هذه الفتاة الحمقاء تحاول أن تضحى مـن أجلى مرة أخرى .

ـ (نورا) ..

- اصمتى .. لن أسمح لك بذلك هذه المرة .. لقد كنت فتاة أنانية .. لا يهمها سوى مشاعرها فقط دون أن تعبأ بمشاعر الآخرين .

عملت على استغلال صداقتك ، لكى تتخلى عن الرجل الذى أحببته وأحبك من أجلى .. دون أن أفكر فى الآلام التى يمكن أن أتسبب لك فيها بذلك .

أعمتنى أنانيتى عن المعانى الحقيقية للصداقة التى ربطت بيننا .. ولم أكتف بذلك مرة واحدة .. بل أردت تحطيم قلبك مرة أخرى لإرضاء ذاتى .. وجئت أتوسل إليك للتخلى عن الرجل الذى أحببت .

- (نورا) .. أرجوك لا ترهقى نفسك بالحديث أكثر من ذلك فأنتِ مريضة .

لكن (نورا) استمرت فى الحديث قائلة :

- لا ترفضى الزواج من (مجدى) يا (ندى) .. أرجوك .. فهو يحبك وأنتِ تحبينه .. وسأكون سعيدة لو أتممتما هذا الزواج .

- ولكن ..

- لا تأبهى لى .. فقد تبين لى فداحة الخطأ الذى ارتكبته فى حقك .. وفى حق الصداقة التى جمعتنا ..

تلك الصداقة التى هى أغلى عندى من أى شىء آخر .

ونظرت إلى (مجدى) قائلة :

- هيا يا عريس .. ألبس خطيبتك شبكتها .. أريد أن أرى ذلك قبل أن أعود لآوى إلى الفراش .

وتناول (مجدى) يدها ليلبسها الشبكة .. بينما ارتسمت ابتسامة واهنة على وجه (نورا) .

* * *

وبعد أربعة أيام أقيم عرس كبير فى أحد الفنادق الكبرى ، حيث تعلقت (ندى) بذراع عريسها ، والابتسامة تظلل وجهها ، وقد علت الزغاريد المكان .

بينما سارت (نورا) خلفها وهى تحمل لها الشموع .

ومن بعيد وقف (سعيد) يتأمل هذا المشهد وهو يمسح عبرة صغيرة انسابت ـ على الرغم منه ـ على وجنته متمتمًا فى صوت خافت :

- أرجو لك السعادة يا (ندى) .

وانحنت (نورا) على صديقتها لتقبلها وهى تهمس لها قائلة :

- أتمنى لك سعادة دائمة يا (ندى) .

ونهضت (ندى) من فوق مقعد عرسها لتحتضنها ،

وقد اغرورقت عيناها بالعبرات .

كانت عبراتها هذه المرة تعبيرًا عن سعادتها بأجمل ليلة فى حياتها .

وتعبيرًا عن مشاعرها القوية تجاه صديقتها .. صديقتها دائمًا وإلى الأبد .

* * *

(تمت بحمد الله)



سلسلة رومانسية رفيعة المستوى

المؤلف



أ . شريف شوق

السلسلة الوحيدة التى لا يجد الأب
أو الأم حرجا من وجودها بالمنزل

الصديقتان

جمعت بينهما الصداقة
منذ الطفولة ، وعندما اقتحم
الحب حياتهما .. وجدتا
نفسيهما فى اختيار
قاس بين الحب
والصداقة

64

الثمن فى مصر ١٥٠ ص
وما يعادله بالدولار الأمريكى فى سائر الدول العربية والعالم